عبد السلام محمد شحاتة

طالب بكلية الآداب



١٩٤١

مطبعة عروس

عبد السلام محمد شحاته

طالب بكلية الآداب

....



....

— ١٩٤١ —

مطبعة عروس



مقدمة ونقد

للاستاذ محمد مندور المدرس بكلية الآداب

ليس أحب إلي النفس من تسقط حديث الشباب ما آنسنا في نفوسهم خيرا وما أعرف في مهنة التدريس أنبل من قيادة تلك الأرواح الفتية وجهة نرضاها إذ أن المعرفة التي لا يحملها صوت ينبض حياة ما أظنها مستطيعة أن تخصب نفسا أو ترفع من قلب .

لم يكن حظي أن أقف من الصديق عبد السلام شحاته موقف الأستاذ بقاعة الدرس ولكني وجدت في حديثه من المعاني النفسية ما حملني على الحرص على مودته وذلك لايماني الخاص بأن في نفسه غني يحفز علي النفاذ إليها علنا نهديه إلى سبيل الانتفاع بما يملك بل واتقاء خطره .

واليوم يسرني أن أقدم إلي القراء باكورة ما يكتب هذا الشاب المتفتح النفس اليقظ الفؤاد وما أكتم أن في قصته (المعابد المهجورة) التي أكتب ما أكتب الآن

بعد الانتهاء من قراءتها دلائل حيرة نفسية أعرف من حياة
الكاتب ومن دراسته للفلسفة بل ومن مزاجه مايفسرها
ولكني أرجو أن نكون إزاء مرحلة عابرة من مراحل
الحياة كما آمل أن يجد الكاتب في مصادرة النفسية مايهديه
الي ان الحياة لاتحتمل الشك ولا تنتظر اليقين وأنه
ان لم يصل بعد في مجال العقل إلى إيمان يركن اليه فهو
لاشك في سبيل الوصول وقديما قالوا ان الشك أول مراتب
اليقين .

والقصة صورة نفسية ممحوة المعالم كالحالة التي أوحت
بها وقد امتزجت بها خواطر متناثرة بعضها خيال محس
وبعضها أفكار مجردة يمر بها الكاتب وكأن قد ألهبته
نزعات متضاربة لم تترك لنفسه قراراً إلا أن يبلغ الشوط
مداه ومن ثم كثر التساؤل وحار الجواب وفى هذا مايغري
بالمضي فيها .

ثم كم يثلج فؤادى أن أري الكاتب يحاول استغلال
ما يقرأ أو يسمع فى تكييف أفكاره وما يفزعنى فى شيء
أن يتبلبل منه الفكر فلا يؤمن بشيء من كل ذلك لعلمي

أنه ان صدق استعداده سينتهي إلي هضم معارفه وإنزال
كل فكرة منها منزلة من سلم القيم لابد واضحة يوما ما
عند ما تلقي الحياة ضوءها على كل مايعلم فتبصره بقيمته .

ليس للقصة مكان ولا زمان ولا لأشخاصها حقيقة
متميزة ولا لوحدتها فى الوقائع وجـــود واضح وإنما فيها
حالات نفسية متعاقبة متشابهة تنتظمها رغبة ملحة في معرفة
ماهو الحق والله نسأل أن تستقر نفس الكاتب فتستقر
قصصه المقبلة في الأرض أو في السماء ان أراد ولكنها
تستقر على أي حال .

واني لعلى ثقة من أن القاريء واجد فيما سيقرأ من
حرارة الكاتب وصدق نغماته مايحبه فيما يقرأ .

محمد مندور

مدرس بكلية الآداب

صلاة عند مدخل المعبد

أيها المعبود ، الصلاة لك في القلب ، وهنا المدخل .

أيها المعبود ، أنت تعرفني فلن أصلي لك بصوت مسموع .

* * *

يارفاق التائهين تحت عاصفة الليل لأنكم حلمتم بالاشراق لقد همتم في آفاق الظلام العاصف والسكون المزلزل حتى إذا عدتم في الصباح كنتم بالشمس تؤمنون !

يارفاق السالكين

لقد تقابلنا في الطريق نجمع من أزهار الليل باقات للمعبود ، فاذا لم أصل ادفنوني واحملوا باقتي المتواضعة عند أقدام المعبود .

أيها الرفاق العابدين

اكتفوا من ضياء المعبود بشعاع تكتحل به العين ، وجاهدوا في أمل وثقة من أجله لأن الرؤيا أما تحطم الأمل أو تعمي البصر .

بسم الله القوى الأبدي الأزلى . .

الهى يارب السموات والأرض . . .

هذه أنفاس فاضت به روحى الحيري الظامئة المؤمنة التى دخلت معابد الحياة فخرجت وقد صرعت حكمتك كل الأرباب فبقيت أنت وحدك الرب الوحيد .

لقد عبدت مالا يجب أن يعبد . وبينما أنا في تأملاتى طاردتني الكلاب البشرية وسرت نحو وادي الموت ، وعند القبور دفنت جسمى فأكلته الكلاب المطاردة ، وبقيت روحى في عبادتها .. تحظى بنور سرك الذي لا يفض .

لقد تغير كل شيء ، ثار العقل على الحكمة ، تمرد القلب على الحب ، لقد تحطمت المثل وتبدد الدخان ، وتحطم القلب لمرأي المثل عارية ! ومن دموع الالهات الباكية فى المعابد المهجورة كان مداد هذه الصحائف ، ومن أشلاء القلب كانت الصحائف نفسها ، وبقيت أنت يا ألله الرب الوحيد وعاش القلب من جديد مؤملا بنور سرك الذي لا يفض .

إليك أنت يامعبودتي .

أنت يامن تعرفين من أنا ولكني لم أعرف من أنت .

إليك أنت يامن نبحث عنــــك منذ آلاف السنين بمصباح في ضوء النهار ومع ذلك لم يجدوك ، ونحن تقدمنا وسار بنا ركب الحضارة شوطا بعيدا ولكننا قد ازددنا بعدا عنك .

إليك أنت أيتها الحقيقة .

اللوتس في الإناء

اللوتس الذي ينبت على أعراف الماء والهواء . . .

اللوتس الحائر الذي لا يدري مصيره . . هو الأرواح الهائمة على الأعراف .. هو الطيور الحائمة في غير هدي . .

اللوتس في الاناء ، بعد الحيرة في استقرار ، لكنه استقرار تهدده سرعة الزوال فهل كان خير له أن يطول عمره حائراً أو يقصر عمره مطمئناً ؟

الجزء الاول

كريز اشبا

في أساطير الفرس كريز اشبا حائر على أعراف النعيم والجحيم ، بين الحق والباطل .

بكى الامير الشاب فقد مات أبوه ، ومهما يكن رائعا ذلك الحجر الثمين الذي احتوى أكفانه الحريرية فان ذلك لم يجد فتيلا ، لم يعد للميت ذلك الحول والسلطان ، وغريبا عن العرش قد دفن فلم يعد مرهوباً إلاّ تحت ظلام الموت الرهيب كأي ميت ، ومن يدري فلعل اللصوص الآتية في طريق الزمان تتطاول على مقبرة الملك الحكيم ، أو لعل ملكا مولعاً بالصيت يعتدي على تلك النفائس مما يزين قصره أو قبره طبقاً للتقاليد والأديان التي تتمخض عنها طبائع الأجيال وشعور الخلف ، بل لعل ذلك الحاكم لا يتورع عن أخذ القلب الذهبي الذي وضع مكان القلب الحقيقي ليصنع منه حذاء يدوس به فوق ذرات التراب حيث اختلطت

جماجم الملوك بأحذية الشحاذين ، وستتغير لغة العصر من غير شك فلا يفهم الباحثون معنى الفقرة التى أمر الراحل العظيم أن تنقش على قلبه الذهبى تعبيراً عما كان يكتبه دم الحياة فى قلبه « الحكمة أسهل من أن يبحث عنها الانسان ، ومن مات باحثاً عنها فلأنه لم يعرف أنها أتفه من أن يموت فى سبيلها » ومن الحق أن يقال إن هذه جملة معقدة كل التعقيد ، سهلة كل السهولة ، فربما كان الراحل ساخراً مما يبحث عنه الناس باسم الحق فلا حقيقة على الاطلاق ، ولكنها فقرة يسيرة الفهم عسيرة التأويل .

لـكن ما الموت ؟ ماهذا التيه الذي تنحدر اليه البشرية منذ كانت .. بل تنحدر إليه الحياة منذ القبس الأول ؟ ماهو هذا البئر السحيق الذي يحوي الافواه المظلمة التي لاتشبع ؟ وكيف الرحيل من الربيع الناضر إلي صحراء ظامئة لا يرويها إلا الحرمان ؟ .

فليكن الموت أباً للظلام .. ليكن فى الأرض المجهولة علمه فما سر الحياة وما حكمتها ؟ ما الحق والخير وما الزيف والضلال ؟ ما السعادة والجمال وما الشقاء والقبح ؟ ما غايتها ؟

وما مكانة الانسان فيها ؟ لئن كانت نوراً هي الحياة فما بال الظلام يصرع النور في بعض الاحيان ؟

بكى الامير لاختفاء تجاريب والده الحكيم فى دياجير القبر المجهـــــول .. كيف تختفي كل تلك التجارب لذلك الفيلسوف الذي بهر العالم فى هوة منحوتة هي قلب الصخر كيف يموت من كان لوجوده علة ومن كان للعرش حامياً ويترك نطفة من الملق لتحكم . فاذا كانت هذه شريعة الحياة أي أن تبقي على الفرع بدل الاصل ليصير الفرع أصلا فالي الاقل تسير الحياة وإلي فناء تنتهي .

ولكن إذا كانت الدنيا قلباً كالبحر الثائر فهل يمكن أن يكون لها قانون يثبت على الايام ؟ أهناك حق يمكن أن ينشده الانسان فى الحياة ؟ حقيقة الحياة قصة للانسان فيها دور خطير ومن ينشد الحقيقة لا يكون متفرجا وممثلا فى نفس الآن . ولكن لم لا يحكم الممثل نفسه على القصة نفسها إن لم يستطع أن يحـــكم على مكانته هو بالذات من التمثيلية جميعا ؟

فى كل يوم تشرق الشمس على ممالك المـــلوك

وأوطان الفلاسفة وفي كل يوم تغرب الشمس على قلوب كسيرة وبطون جائعة . يزهر النبات في الربيع ويذوي في الخريف ، تهطل الأمطار من مآقي السماء إثر اللوعة فتلتقي الأرض الدموع بالبسمات وتزهر الدنيا من دموع أمها ، يموت الآباء فتستحيل أجسادهم ترابا يطأه الأبناء بالأقدام ، يغذي التراب الزرع ليأكل الآدميون والحيوانات أجساد الآدميين الحيوانات ، الدنيا قلب فكيف تكون لها حقيقة ؟ كل يوم حدث هذا ومع ذلك فمن أدرك أسرار الحياة حتى يدرك أسرار الموت ؟ بل لابد أن يعرف الحياة جيدا ذلك الذي يريد أن يعرف أسرار مابعد الحياة والعكس صحيح فمن العسير معرفة مابعد الحياة دون معرفة الحياة . يا أبتاه . يامن حكمت الناس وجمعتهم تحت لواء حكمتك الباهرة أين عني الليلة قد غابت حكمتك فتوضح لي هذه المعميات من أسرار الكون الذي تقول عنه حكمتك أنها أسهل من أن يبحث عنها الانسان ومن مات شهيداً لها فلأنه لم يعرف أنها أسهل من أن يذهب ضحية لها . إذا كانت سهلة المنال يسيرة النوال فمالي قد عميت لاأدري للحياة ظواهر ترجعها

إلي قانون واحد يعلل نظامها ويفسر غامضها فيبين لي أين غبت وإلي أي واد قد رحلت روحك المفعمة بالحكمة والجلال . عزيز عليّ أن تفرقنا هذه الأيام التي جمعتنا كما يجتمع النغم علي القيثار ، لقد كنت أنت القيثار وكنت أنا النغم فمن الذي أخرج النغم من القيثار ؟ طلاسم هي هذه الحياة فما أخرج منها بمعلوم موضوع حتى انتهى إلي سؤال لا أستطيع منه فكاكاً ولا له حلاً . ويحى كيف لي العيش أنا الفرع إذا كان الجذر قد اقتلعته الرياح العاتيات ؟ ان المنطق أو بعضه يسلمني إلي هذا التساؤل وليس هو المطلع من قلب يشكل أزاء المصائب . وإذا اعترض العقل أن هذه هي سنة الحياة لأجبته وما نهاية هذه السنة وما غاية هذه الحياة ؟ .. لكنك يا أبتاه قد لقنتني علوم اليونان وفلسفتهم وجعلتني أعتقد أن العقل البشري كفيل بحل المشكلات جريء على الصعود إلي مرتبة الآلهة إذا هو أحسن التعقل والتفكير ، فيجب أن أحيا من بعدك يا أبتاه علني أصل إلي سر لهذا الوجود ..

هكذا فكر الملك الشاب ... بعد ان بكى فوجد

علة لل[illegible] هي الخلود إلى الدرس والبحث والاغراق في التنقيب في باطن الأرض القديم وما عليها من جديد وما فوقها من سماء .

(٢)

ما الحق ؟ ما طريق السعاده أمام الانسان ؟
أهو الحرمان والتعلق بالآمال وحسن الجزاء ؟
أم هو الملكية للمال والجمال والسلطان ؟
ما الحق أهو العدم أو الوجود ؟ فما قيمته إن كان عدما ؟
وهل وجوده حسى أم غير حسى ؟ وان كان الأخير فكيف يتفق الناس عليه والناس في التقدير غير الناس في التقرير ، فمنهم من رأى السعادة فى جمع المال وإشباع الشهوات فحسبهم من الدنيا غانية طيبة أو ماكرة ، وجعبة بالمال عامره تضمن لهم الطيبة أينما حلوا وحيثما ساروا ! حسبهم من الدنيا الليل يسدلون فيه الستار عن مضاجعهم المضمخة بالعطر الذى يتغير بين الحين والحين تبعا لتغير الصديقات العزيزات المخلصات غاية الاخلاص ! وما النهار إلا لجمع المال فليس فى ثوب النهار أمامهم غير لون الفضة وحسبهم من

جمال الشروق وجمـــــال الغروب لون الذهب ؟ وإذا دقت أجراس المعابد فهم لا يخضعون إلا للمرأة الحسناء يعبدونها فيتقدمون لها بالذهب ليستطيعوا الدخـول إلي حيث المعبد المنشود ، حياتهم مال وسعادتهم امرأه وكأس للنشوة والحلم يمثلهم الأعلي : الجسد !

ومن الناس من بنوا قصوراً من الأحلام واختالوا فيها فأتى الجسم ليعلن فى جــــرأة أنه الحق ، وهؤلاء الشباب الشعراء واصحاب الفنون ، ينظرون العالم من برجهم العاجى المشرف على معابد الهند وجبالها الشاهقة ، والذي يرتفع فى غموض وظلمة وألم كما يسير السائح الافريقي في مجاهل الغاب وظلام الشجر إلي الحياة ، والحياة بنت الجسد فتصطدم السفينة الحالمة بالشاطىء الصخري ويبدأ التشاؤم ويصبح العزاء والسلوان بقدرة الحياة علي جذب الانسان إليها فيبدأ البحث عن الدنيا والمال والمرأة وفى زاوية منعزلة مظلمة تعيش أشباح الأحلام في كهف الزمن السحيق تنطلق فى أويقات نادرة لتعود الي كهفها الحزين .

ومن الناس من نشدوا العلم وحسبوا الدنيا رهينه

بكتاب أو كتب فنالوا العلم وقطعوا فيه مراحل وكلما حطوا رحالهم في أويقات الفراغ أحسوا امرين غاية في التناقض . يشعرون أولا أن ليس في مقدور الفرد مهما كان علمه أن يصل الى أسرار الوجود وحقيقة واضحة جلية فيشعرون بأن الأمل فيما كان يرجى من العلم أقل مما يوصل اليه العلم . والأمر الثانى أنهم قد اعتادوا ذلك البحث العلمى فيسيرون حسب العادة التى تسهل الصعب وتمهد السبيل ويستمرون في بحثهم .

فأين الحق ؟ .. وأين الطريق اليه ؟ .. أهو الغزو واخضاع الشعوب للملوك العظام فيحسون اذ ذاك بأنهم قد حققوا معنى الحكم والسلطان ..

لكن تجارب البشر ليست عبثا وأفكار المفكرين ليست هراء ؟ وكل فكر يجب ان يرى ماراًى غيره قبله ثم يخرج بما يريده من الآراء والأفعال ... لاشك أن الحقيقة في أحد هذه الأشياء بل هى في الجمع بينها جميعاً فيجب أن يأخذ الأمير الشاب بسهم فى كل من هذه الميادين :

الدين ومعرفة الله لعل معرفة مصدر السعادة من
ناحية الروح وعليه ان يغذى العقل بالعلم والشعور بالحب
والجسد بالشهوات كما غذى الايمان بفكرة عالية .

في دراسة الأديان والفلسفات يمكن معرفة الله كما
تصورته البشرية ، فى الشعور الروحى الفعال الذي يتصل
بمسائل تخرج عن كل مايمت إلى أحاسيس البشر ... الله ...
الروح .. روح العالم .

في دراسة العلم وتغذية العقل بثمار أضني غرسها الأجيال
التى صعدت إلي قمم الجبال وتطلعت إلي السماء والأرض
وانتهت بما يفيد الأرض ويترك شئون السماء في تردد كالنجم
الحائر ... فى العلم يمكن تغذية العقل .. ولعله يربط بين
شئون العلم التجريبي بشئون العلم اللدنى ليمكنه المقارنة
والتحليل فيكون إلي معرفة الحقيقة أقرب .

أما النفس الشعورية التى موضعها الصدر كما زعم
حكيم الاغريق المشرف من رواق العقل اليونانى على أديان
الشرق من مصر إلي إيران فيمكن تغذيتها بتكوين أسرة
هنيئة ناعمة وبالفتح والغزو ليقدم البرهان أمام ضميره وأمام

شعبه على أنه على مجد بلاده لحريص ... وليحاول أن يغذي الجسد فيحس بالصحة لكن هل سعادة الجسم في الصحة والقوة أم في اللذة ؟ إن في كليهما نفعا ولكنهما ضدان !

المرأة ...

الحياة حركة والحركة في جسم فالحياة في جسم فأول ماتبدأ الحياة تبدأ مطالب الجسد ، وهناك من يعيشون بلا عقل وبلا شعور ومع ذلك هم أحياء وهم لايحسون في دقة ولا رقة وإنما يعيشون كالحيوان وحتى الحيوان له مطالب الطعام والجنس ، ومطالب الطعام موفورة وثغرة البطن قد قفلت بما يجلب إلي الأمير من أقاصي الدنيا .. من مصر وحقولها الممتدة فى أحضان النيل الآتى من أقاصي العالم ، من سوريا وأرزها الممتد إلي السماء ، وفاكهتها من الوادي الضيق كالسيف ، من الهند ... من الصين .. من كل هاتيك الأمكنة يجلب طعام الملك الشاب فياله من طعام ويالها من مائدة يتوق الشعب إلى بقاياها بعد أن يملأ الخدم البطون .

المرأه ...

قد نما الجسد والشباب في برد القوة والجمال والحياة أمامه مزهرة كحدائق بابل الساحرة ، فكيف لا يطمح الأميران يضم الى صدره عروسا كما يحتضن أبو الهول حوريات النيل .. كيف لا يطمح الأمير ألا يشرك على عرشه عروسا كما يشرك البدر الشمس فى بعث الضوء على دنيا الناس ... ان الغيرة لا يمكن أن تعتري قلب الشمس حين يمتلك القمر ناحية العرش .. ان الحياة تعاون وحب له وبه تخفق القلوب ..

ثار فى الصدر شعور دافق واشتعل البطن ناراً ذات لهب .

هناك وراء الأفق البعيد .. هناك وراء هذا الانحناء الكروي الذي يحيط بالدنيا توجد أميرة فاتنة أرسلت من عينيها نوراً بهر الشعراء فسبح خيالهم فيه وغردوا في أشعته وكانوا فراشا حائما حول مصباح الحقل لا يستطيع أن يفلت من الاحتراق في لهب المصباح .. وسمع الملوك والأمراء الأغاريد المحزنة والآهات التى تلتقي عند شباك الأميرة الذي تعانقه أشجار ثعبانية .. فجروا الي القصر

ليلقو بأنفسهم عند اقدام النافذه والأميرة تفتح النافذه ولكنها تنظر العلياء وتعانق أحلامها المنقاء وكانت تحكم بلادها كما يحكم المعبود العابد . ولكن أحد الملوك قد اعتدى على مملكتها فأعلنت عليه حربا وقاتل الشعب الحالم الملك الصارم وهي تبعث الحمية فيه ولكن أنى للأحلام مهما كان علو أبراجها أن تصد السيف الباتر الذي يقتل صاحب الحلم فينقله إلى واد حزين .. وقفت الأميرة فى عليائها لترى من يعلوها ويحجب عنها أضواء المجد . رأى المعبود هيكله يتحطم أمام المغتصب فأرسل عليه أضواء جماله فأحب الرجل منها جمالا مستبد السحر وباتت له زوجة وأمة وصار لها عبدا ! . والأيام دول كما يقول أصحاب القدر الشرقيين فسرعان ما اعتدى جبار على المالك الذى لهاه خدر المرأة عن حمل الدرع والذى بات يريق الكأس بعد أن أراق الدم فقتله وأخذ المرأة وهى اليوم تعيش معه ناعمة البال وهكذا ما كاد ينتصر إلا ليكون عبدا للخدر وصورة على العرش ! .

وفكر الملك الشاب لماذا لا تكون هذه المرأة

أمة له فلعل فيها بعض الحق ولعل الحق زهر لا ينبت إلا في صدور المناقع ! من يدرى سر الأشعة الخفيه التي ترسلها عيناها فتسحر شيطان الشعر ليوقد في قلوب الشعراء نارا ؟ من يدرى سر هذه الملكه التي الهبا في قلوب الشعب جمالها وطغت على سيوف الملوك من عينيها السهام ؟ من يدرى سر هذه التي جمعت بين جمال الملائكه غدر الشياطين ؟ إنه لسر عجب وإن فضه لاعجاب

إلى القتال لاحراز المرأة والمجد وكلاهما إلى النفوس لسر حبيب ، لعل الحق فى المراة أو لعله في الفتح والغزو ... ياما أشد ما يعانيه قلبه لمعرفة سر المرأة والمجد ، فكم يكون سعيدا لو انتصر على جيش عدوه وكشف بذلك سر الجمال وسر المجد ... إنه تواق لكشف أسرار الوجود فلم لا يكون للوجود سره في الجمال والمجد وقد سبقه في هذين الميدانين أساطين التاريخ وابطال الزمان.

وهتف الشعب :

الشمس والقمر يتغيران بين الليل والنهار والزرع يستحيل ويتغير حسب تقلب الفصول وحتى الصحراء تتغير

فالصيف يصليها من نار الجحيم والشتاء يملأها ببرودة قاسية تعمم قمم الجبال بالثلوج .

لكل وقت زهر فيه واليوم ربيع الوطن في ظل شباب المليك فاشرقي ياشمس على ماضينا المجيد لتعيدى إليه الاضواء وأنت يانجوم كونى شموعا في معبد بلادنا المحبوبه .

لنذهب إلى الصحراء فنطفىء لهب جحيمها ونشمل برودتها فاذا مادبت فيها الحياة وأقمنا المدن الوهاجه السراج على قمم الجبال أخذنا نفتح بطن الأرض ذات الأسرار حيث نجد الحجر فنحظى بالماس البراق ونتوج به المليك ونعبد مجـــد الوطن المنبعث من رأس العاهل الفتى ، نحن نعبد المجد فاشرقي ياشمس من جـــديد وأضيئى يانجوم وانم يازروع ، . كل شيء في ازدهار ...

وفكر الملك : منذ الأزل شهدت ياشمس قتال البشر واشرقت فوق المجد وغربت فوق الأنقاض فما سر القتال وما حقيقته ؟ انك لا تجيبين وأفعالك مناقضة . فلا نظام فيها لاسيما في ناحية الآراء والمــذاهب التى لكل منها حجة يقدمها للعقل دليلا على صحته فان كان هناك النظام في

الحياة الحيوانيه والنباتيه من نمو وفناء وغيرها فلا يوجد هذا النظام في الحياة الفلسفيه المتعارضة المذاهب التي يدعي كل منها أنه مصيب كبد الحقيقه ... الاما أشقي المفكر الشكاك الذى يشك في السعادة والشقاء في الحق والباطل بل الذي يذهب أبعد مدى من ذلك فلا يعرف ولا يميز بين السعادة والشقاء ولا بين الحق والباطل . فأين هى شمس الفكر ياشمس الحياة ؟ إن دراستى لنتاج العقل اليونانى جعلتنى جريئا أتخطى كل تقاليد دينية قائلة بعجز البشر عن ادراك سر الوجود ولكنى لم أعد أعرف ما الحق فكيف لى أن أحكم بالحق ؟ .

سارت الجحافل لتشهد الشمس معركة البشر في احدي حقب الزمن وقد برر كل من الفريقين المتحاربين رأيه بالحجج فلم تعد تعرف الشمس من المخطيء ومن المصيب ! .

مالت الشمس للمغيب فخضبت جبين الافق الغربي بالذهب والدم والتف العالم الغربى بوشاح بنفسجى مطرز بالياقوت ففكر الملك فيما كان لشروق الشمس وغروبها من أثر فى حياة المصريين القدماء فجعلوا العالم الآخر

مصورا ومرتبطا بغروب الشمس وهنا تساءل الملك ما حقيقة هذا العالم الآخر ؟

وفي المساء سارت النسائم هامسة بأحلام عالم غامض مبهم وكان الظلام جميلا فتصور المليك العالم إذ ذاك وهو يشرف من خيامه على الصحراء النائمة في أحضان الظلمات حالما بمقلة مقفلة الجفون .

اليأس يدفع إلي الرجاء أو إلي الحلم بالرجاء فدفع الظلام المليك إلي التفكير في النور وتسللت إلي رأسه فكرة الفرس عن الظلام والنور ولكنه لم يستطع ان يجزم بأي الرأيين قالو : بالوحدة أم بالتثنيه .

ذهبت به الأفكار في تيه الشك مذاهب شتى وفكر في أسرار العالم فهل امتزج بالروح الكليه ,, بالنيرفانا ،، كما زعم حكماء الهند ؟ وما لبث الملك ان استلقي على فراشه الوثير مؤملا أن يجد في أحلامه مكان الحق وماهيته .

(٣)

... وخضبت (أورورا) الفجر بالبنفسج وبدأت عجلة (ابولو) الذهبيه تبهر الدنيا بسناها العجيب وفي نشوة ملأ

الماهل الفتى صدره هواء فتجدد إشتعال فؤاده هوي ، وفي لون الذهب أخذ يصطبغ الأفق البعيد كآماله الكبيرة في حياة الذهب والحب ، ونسي أحاديث الفلاسفة ولبى نداء البوق . . بوق المجد القديم يتجدد فى ذلك الصباح المشرق الشمس وضاحة الجبين .. وسار الجيش يجتاح بطون الأوديه فيبقرها وقمم الجبال الثلجيه فيحيلها إلى هوى يحترق ، سار الجيش وقد امتزجت الدماء بكؤوس النصر ..

سار الجيش وقد اشتعل فاحترق ماحوله ولم يحترق منه إلا قليل : سار الجيش وعند حد سيفه عقد الأمل وعند حد سيفه سالت الدماء ، سار الجيش وتحت أقدام الخيل أشلاء وفوقها أهازيج نصرباهر . سار الجيش فى الأجاديب القاحله فغرس فيها بذور الدماء فكانت أول نبتة فيها شجرة الأنسانيه المظلومه غرستها يد الأنسانية المظلمة .. نبتت شجرة عجيبة ظلت تصيح في الفيافى وتملأ بطون الوديان وقمم الجبال ، شجرة عجيبة لها فروع تنتهى برءوس الف انسان مولولين (ليت الحق كان فى قتلنا ... ها ...ها .) وترن هذه السخرية الشيطانيه في الآذان فتدخل إلى النفوس

عوامل التهديم والقنوط واليأس ، سار الجيش ليصير قاتلا ومقتولا فيصيح القاتل فرحا ويئن المقتول ويحشرج بعد أن تطفر من عينيه الدموع كأنه عرف شيئا جديدا خفي عنه قبل الموت ، سار الجيش وقد غير كل شيء فامتزج الياقوت بالدم وامتزج الذهب بالشمس وقد جمع الأعاجيب فامتزج الدم باللبن ليكون للجيش شرابا ، وامتزج العسل بالتراب ليكون طعاما . سار الجيش بفرسانه المساعير . . وفي قلوبهم حيث نبتت شجرة الأمل والحياة والحب يسقيها دم عزيز استحالت بعض هذه الأشجار يأسا وموتا وبغضا يسقيها تراب جاف

وفي الدجنه الطاخيه رأى العاهل الفتي شبحا يقوم ويقعد بين نيران المواقد والمصابيح الخافته بينما الجيش قد غفا في سنة من الكرى والحراس عليه قائمون فارتاع ودق الطبل الذي بجواره فأتاه بعض العبيد وسجدوا أمامه ولكنه أنبأهم بما رأي وسرعان ما أتاه الخبر أنها (اوشاس) .

اوشاس ياحلم الملوك الذين بحثوا عن بريق عينيك في كرائم الأحجار في مابطن الجبل وقلب البحر ، لقد افزعتهم عين

الهرة ذات البريق الشيطاني وردهم عن عيون المهاجسم غليظ
، كأنما أذيب البريق بالحور بالسحر .. بالقلب وبالجسد ...
بالدنيا وبأشعة من السماء فكان منها جميعا تلك النافـــــذة
السماوية التى تسمى عينيك .

أوشاس يامن بحث الشعراء عن لون شعرك فى امواج
البحيرة المقدسة تحت ضوء الشمس فخابت أمانيهم .

اوشاس ياحلم الشاعر ومخدع الأمير ، اوشاس يا ابنة
الآلهة التى عشقت بشريا فى حديقة الشيطان فكان منك
الهة وانسانة وشيطانة !

اوشاس يامن سميت باسم آلهة الهوي والفجر فى بلاد
الهند العجيبه . آلهة الفجر الوردى الندى لهة آلأعراف بين
النور والظلام ولقد عشق تلك الالهة ابوها (براجاباتي)
فأبدي الرغبة فتمنعت وولت الأدبار وتعقبها وكلما
تشكلت بانثى كائن تشكل بصورة ذكر هذا الكائن
حتي نال بغيته وضاجع ربه الفجر والهوي فى ساعة غطت
السماء وجهها بنقاب وردي باهت وغطت الأرض وجهها
بقطرات باردة وسرت اصابع النسائم بين الورد الباهت

وقطرات الدموع ! ،

أوشاس ألا في سبيلك ما يقاتل الملوك تحت ستار الفتح والغزو ومات الناس وتلاشت أرواحهم كأنفاس لاهثة وما غرست شجرة الانسانية المظلومة فى الصحراء الا يد الانسانية الظالمة العاشقة التى تيمها العشق وفتنها جمال الألوهية والشيطان .. ما قامت الدنيا وما قعدت ومافتح الملوك وغزا الغزاة الا ليفتحوا صندوق جمالك الالهى ويغزوا قلبك العجيب ،

فما سرك ؟ هل انت الحق ؟ ان قلب العاهل ليخفق فهو لا يدرى شيئا عن هذا السؤال أو عن غير هذا السؤال .

اقتربت بيضاء كالهة فى ثوب ملاك ، خفاقة كقلب بشري فتانة كشيطان فلم يجرؤ الأمير ان يرفع البصر اليها وانما اصطنع الهدوء والرزانة والحزم .. ونظر الأرض تارة والسماء تارة

— من انت ولماذا جئت ؟

— اني أدعى اوشاس ياسيدي جئت انبئك ان من تحاربه قد قضي .. جئت وحيدة أعلن التسليم ...

جاءت له وحدهيا تعلن التسليم . ولكن كيف هذا التسليم اليسير ، حقا انها لفانية تلك التى جاءت فى طريق ارضه دماء وسحابه آهات وسماؤه لعنات كل ذلك لتعلن هي التسليم ، ألا ما اتفه هذا الجمال المؤله وما ابسط الجمال وما أبسط تلك الحقيقة التى يكشفها الجمال ..

ولم يفكر فى الحقيقة بل كان عليه ان ينعم بالغنائم فأعلن النصر وارتطمت الكؤوس كموجات بحر من المرح والضجيج ...

هكذا انتصر ...وسارت مع الجيش إلى القصور الملكيه وفي الشرفة الكبيرة القائمة أمام القصر على قوائم أسد من حجر أسود عجيب القي تحية للجنود وهنأهم على بسالتهم ووعد باستلام الكنوز والآثار وبسط سلطانه على البلاد حتي يستقر الأمن فيمهد بذلك السبيل للمجد الحقيقي الذي عزم عليه منذ ولى العرش ...

ودخل الجناح الذي اعد له واستدعى (أوشاس)

وجاءت أوشاس في غلالة من شفوف الهند كالنسيم وجثت أمام سيدها الجديد فأذن لها بمكان على

مقصده . . واضطرب ! كانت هي المرة الأولي .. كانت هى الماء المقدس الذى كان من الواجب أن يشربه وهذه هى الكأس الأولى

وكانت تفهم نفـوس الرجال لا سيما ذلك الذي لم تفترعه كف التجاريب فقامت الى المائده وصبت كأساً من النبيذ على شكل برعـوم زهرة اللوتس وقدمته لمولاها وقذفته من العين بسهم فجرح فؤاده وامـتزج دم الكأس بدم القلب في ذلك الاناء الداخلى الالهى ، في القلب سرت النشوة وثارت الصبابه . .

وأطلا من شرفة على البحر . . ذلك الكائن العجيب الذى عبده البشر . . ولمعت النجوم فوق طيات الموج الهدار . . وراع المنظر خيال الأمير وأنعش صدره نسيم البحـر الناعم البارد وأحس فيه روحا تحمل صورا من الماضى . . ولاح وراء أعراف الأمواه ما يشبه المستقبل المجهول . . وبدأت الذكريات تتسابق إلى خياله وكأنما هبت أشباح إلي نفسه من تلك النجوم التي زعم المصريون انها تمثل أرواح الموتي السعداء . .

بدا أمامه البحر الوضاء تحت أشعة (الأرواح السعيدة) ذكريات واضحه ... أما البحر المجهول البعيد الذي لا يبدو إلا كحلم غامض .. فهو المستقبل ..

وإذا بدت عين « هوروس » الليليه « القمر » بعثت اليه بشعاع وسنان .. كأن هذا الشعاع هو الأمل . وأثارت فكرة فناء الانسان أن يعجل الفتي في بقاء ذكراه ..

وكانت اوشاس إلى جـــــواره كحمامة هادئة تمثل الأنثي فكانت القبله الأولى تحت أشعة الأرواح السعيدة متساقطة من عل اما من أسفل فقد سمع تكسر الأمواج أو تكسر أحلام خفق بها قلب البحر عند اقدام الصخور الحبيبة إلى قلب البحر ! فيالها من حياة ويالها من قبلة كانت الأولي ...

واذ ذاك ارتفع صوت المغنية الهنــــدية في موسيقي حالمه كأنها أحلام آلهة الهند أوشاس أو على الأصح أحلام كاهن كرس حياته في معبدها فوق قمم الجبال الثلجية ... حيث تتجســـد الأهواء وتبدأ العبادة قريبا من الســـماء ......

« لقد قدس المصريون الثعابين وهى سم قتال

فياله من تقديس غريب ..

ولكن حينما امتد ذراعاك في أشعة القمر والليل يحلم

أيقنت بحكمة المصريين وشعرت بأني كنت مريضا

نعم لقد كنت مريضا لكن لما ارتوت نفسى بالسم

الممزوج بالزبد ... شفيت وأحببت شعب فرعون

الذى عرف من قبلى نشرة السم البهيج .. وهو الحب الذى

كان بين ذراعيك . لقد غضبت عني الآلهة فحلت روحى بعد

موتي بجسم طائر غريب

وبينما كنت أحلق طائرا فوق قنن الهند الشامخه رأيت

حفرة فيها دماء ودموع

فلما سألت لمن هذه ؟

قالوا هى دماؤك ودموعك أيها المحب الشقى

ياحسرتا على ! .. ولكنى حينما طرت ورأيت ذراعيك

ممتدين كالحيتين كسينا بالزبد وددت أن أحلق فوقهافطردت

ياالهى ! ان أردت عدلا فاخلقني ثعبانا كي أفهم سرهما

أو اخلقنى حجرا اصم لا يحس سحر الثعابين . »

وهبطت الموسيقي رويداً رويداً وكانت الضمة الأولي
وامتدت الحيتان اللتان كسيتا بالزبد حول صدر الأمير
الشاب ولدغتاه فتسمم جسده ...

كان أمام المخدع نضد ذو طابقين وضع علي الأعلى
تمثال « أبيقور » وفى الأسفل كان تمثال آخر لزينون ...
تركته مشتعلا وقامت لتضع صاحب الرواق « زينون » في
القمة وأنزلت « أبيقور » ولكنه ثار وأمر أن يبقى
(أبيقور) فى قنته يشرف على الفراش الملتهب على أنه أطل
في ركن آخر فرأي تمثالا لأرسطو وآخر لسقراط ..
ووقف تمثال كامل من الرخام (لاوشاوس) فى ركن الغرفه
وقد بدت مفاتنها تحت غلالة رقيقة من الرخام . وثار من
جديد حين فكر أنها وقفت شبه عاريه أمام المثال .. وجمد
أمامها وتدرع بجديد العزم .. لكن الحيتين امتدتا إلي
داخل الدرع فثار من جديد .. وناما في أحلام جميله ..

والنشوة النشوة يالنشوة بين أحضانها .. ياللمرأة ؟

وفى الهزيع الأخير من الليل قام بعد ان سمع عاصفه
في السماء مضطربا ولما اطمأن ورجع تعثر بتمثال « أرسطو »

فاغتاظ وفتح الباب المطل على الشرفة وقذفه إلي أعـلى قائلا اذهب أيها المجنون الى النجوم لعلك تجـــد هناك بين الأفلاك « المحرك الأول » وكأنما أطل سقراط قائـلا فى شكله الزري القبيـح « اعـرف نفسك بنفسك » فضحـك وقال لقد عرفت نفسى اليوم فقط . . . عـــرفت السعادة عرفت الحقيقة !...

هذا هو التفسير الصحيح لكلامك ياحكيم الزمان ! .

ومر معلم فى القصر تحت الشرفة فوجد تمثال ارسطو مهشما لـكن رأسه مازال يحمل معالم الوجـه وعـلى جبينـه انحدرت قطرات من الندى تشبه الدموع !..

وشهدت عين « هوروس » النهارية تمثال « اوشاس » يسود تماثيـل الفلاسفة ويعـلوها جميعـا والى جــــوارها تمثـــال « ابيقور »

وكان أول عمـــل فى الصباح هو الاستحمام وضمخ الحمـــام بطيب وعطور عجيبة وزين بأزاهير فتانة باسمة . وكان حوضا عجيبا .. رسم عليه (ايروس وفينوس) فى ناحية الغرب أما جهة الشرق فقد وجد (اشتاروتاموز)

وكأن مياه إستحمامها كانت دماء تغذى قلوب آلهة الحب والجمال . . . واخترقت عين (اوروس) الالواح الشفافة من الحائط فرأت مايسمى نشوة الجسم ولم تدر العين ان كان ذلك فضيلة أم رذيله لأنها ترى ولا تحكم !

— ٤ —

ومرت عجلة أبولو على العالم مرات ومرات وفي كل مرة تحمل الحرارة إلي الأجساد البارده إثر الليالى الحمراء .

وذهب الأمير ذات مرة إلي المكتبة العامرة بآيات العلوم والفلسفات والأديان وسأل نفسه هل هو خطى بالحقيقة ؟ ان الليالي ما انصرمت إلا فى أحضان المراة فهل رأي الحق فى المرأة ؟ لو ان الحق فيها لكان كل من يملك امرأة ما لكا للحق ؟ اذاً فالحق ليس في المرأة ، فليقاطع المرأة وليبتعد !

هل الحق في الغزو واتساع الملك ؟

ان الذى يملك بيتا ثم يملك بيتين تتسع متاعبه كما تتسع نعمته فالنسبة محفوظة ومالك البلد كمالك البلدين ولو

كان في الملك حق لظهر أمامه من أول الأمر فليس في الملك الحق ولكن هل يتركه ؟

إن كان الحق في هذه الحياة أو ممكن أن يعرف فى هذه الحياة فمن أقدر وأولي بمعـــــرفته من اؤلئك الذين يحكمون الممالك ويسوسون الناس ؟ فهو لا يستطيع اذا أن يكون إلى معرفته الحق أدني ما لم يكن سيداحا كما ! . .

كانت الكتب مخطوطات عجيبة من الهند والصين ومصر وفارس وفينيقه وبابل . . . من الدنيا العالمة بفنون العـــــلم الفنانه بأعلام الفن . . كان بعض المخطوطات قد نقش على الحجر وبعضها علي الخشب وبعضها على اوراق البردى وبعضها علي الذهب وبعضها على ضرب من نسيج الكتان ... وأنحني عند قدمه معلم المكتبة ثم أخذ يشرح له نظامها ويرشده إلي أمكنة الكتب فما كان من الأمير الا أن سأله عن مهنته فأجاب بأنه معــــلم المكتبة ثم أخذ يقول : أعلم أن مولاى شديد الاعجاب بدراسة الفلسفات واني لأتشرف أن أخبره عن أمكنة كتب فلسفة كل شعب

— وما هي الفلسفة التى تحبها أنت ؟

— انى أجل العقل اليونانى ولكنى لا أعتقد فى المنطق البشري كعلم موصل إلى الحق الأعظم .. أني أجل أرسطو وأومن بالشرق المؤمن القوى الايمان لا بتلك الروح المتمردة التى تظهر فى كتاب « محاورة بين الجسم والروح » عند المصريين ولا أسطورة "جيلجاميش" الكلدانيه التي تنتهي بالقول بأن الحياة هى كل شيء وأن الآخرة هي الضلال المبين . عماء أو فناء ... إنى أعجب ببوذا حين سئل عن أبدية العالم فقال أنه لا يعنيه شيء من هذا القبيل وانما مهمته تعريف وسائل الخلاص ...

— حسنا .. ولكن ما فكرتك أنت عن العالم فى اجماله وأين الحق وأين الضلال ؟

— تلك آراء متباينة تختلف بأختلاف الشعوب والشخوص فالشخص يشرف على العالم من شرفته المحدوده بمنظاره الخاص فالحق نسبي فالخير عند البعض شر عند البعض الآخر ...

— لكن فيم تعتقد أنت ؟

— إن اعتقادى لغريب فمنذ القدم وأهلى خدام للعلم والدين وكانت أعواد شبابهم تذوي في أتون الرغبة فى العلم والبحث وقد جربوا كل شيء واستوعبوا كل فكرة فلم ينتهوا إلي رأي واضح عن الحقيقة فما الفلسفة إلا آراء الناس تختلف حسب مشاربهم ومهما كان فيهم ذلك العنصر الالهى فانه ينقصهم مسالك كثيرة ليكونوا من الواصلين فهذه أمة الفرس تري منها (مانى) يعلن أن التخلص من الشر أمر مستحيل وأنه متشائم يائس فى حين ان (زرادشت) يرى ان التخلص من الشر ممكن وان الحياة السعيدة سهلة النوال ولكن (مزدك) يرى رأيا ثالثا فعنده أن الأموال والنساء أصل الشرور . . . وهذه أمة الصين منقسمة الرأى أزاء مسائل الكون وجودية كانت أم اخلاقية وإنى لأذكر على سبيل المثال أن (لاهوتسيه) رأى ان حب الأعداء واجب كحب الأصدقاء فى حين يري (كونفشيوس) ان نعامل الأعداء بالعدل وان نبادل الأحباء حبا بحب وهذه أمة اليونان لانستطيع ان نقول أن لها كلمة واحدة ترشدنا إلي حقيقة

واحدة بل لعل هذه الأمة اكثر الأمم تشعبا في المذاهب واختلافا في الآراء.

وقد يكرر بعض الحكماء أفكار غيرهم دون قصد ولا علم فمثلا لما قال « سقراط » بأنه يعرف شيئا واحدا وهو أنه لا يعرف شيئا كان ذلك تجديداً لفلسفة عصره ومثالا في التواضع لم يسبق له مثيل ولكن كتاب الحكمه الكلدانيه يذكر ان الرجل الحكيم يتظاهر بأنه يعرف اقل مما يعرفه في الحقيقة ...

ان من يصيبون الحكمة والمجد ليسوا هم اكثر الناس حكمة واحراهم بالمجد فهم قد استطاعوا ان يوفقوا بين افكارهم وعقول الناس وبقدر ملائمة هذه الأفكار لتلك العقول يكون المجد وكذلك يمكن ان يقال على كل من نجح في ناحية من نواحي الحياة فانه لم يحرز هذا النجاح لأنه اجدر الناس به وانما لأنه استطاع فقط ان يوفق بين تصرفاته وطبيعة الحياة فالذي ينجح في الحياة يامولاي ليس هو ابن الخلود وانما هو ابن الحياة وابن الخلود منزو في ناحية عليه كل غبار الحياة بينما ابن الحياة لا شيء عليها من غبارها

وانما كسته سندسا وحريرا كما تفعل أم غنية معطاء .

— إذا فالجائع والأبله وكل محروم يعد ابنا للخلود الذي عنه تتحدث ؟

— معذرة يامولاى ان الوضع الصحيح لسؤالك هو هل كل مالم يكن ابنا للحياة يعد ابنا للخلود ؟ . . والجواب على ذلك بالنفي لأن هناك من لا يستأهل أن يكون ابنا للحياة . . وهناك أدنياء أخساء همهم فى بطونهم ، شرهون في ملئها ولو كان ذلك من دماء الغير ، شرهون فى تفريغها ولو كان ذلك على حساب الغير ! والذي لا ينسجم مع الحياة فلا تعده ابنا لها اما ان يكون دون مستوى ابن الحياة أو أرفع منه فهل الجائع والأبله وكل محروم من الذين ارتفعت أو من الذين انخفضت درجاتهم ؟ والجواب على السؤال يدعونا يامولاي إلى أن تعرف ابن الخلود . . وهو الذي يعرف الحكمة التى ليست هي حداً وسطا بل أن فكرة الحد الوسط فكرة يونانية ، فكرة لأبناء الحياة الذين تصوروا الآلهة بشرا وكثيرا ما صوروا آلهات عشقن رجالا وانما الحكمة التي أعنيها يامولاى هي

فكرة متطرفة البعد عن شئون الحياة .. قريبة من معرفة الحقيقة الكبري التي تلتمع بسناها النجوم المعبودة فاذا كان المحروم لم يفكر في ذلك وبل يفكر فى الحرمان والثوره فليس هو أدنأ من أن يكون ابنا للخلود فحسب بل أدنأ من أن يكون ابنا للحياة نفسها ... وكذلك الجائع إذا ارتفع إلي النجم اللماع فكره فهو رجل خلود وإلا فهو أدنأ من أن ابنآ للدنيا نفسها ، أما الأبله فهو أقرب من أن يكون ابنا للخلود دون غيره لأنه لا يفكر فى شر ولا يفكر فى خير

— إن العقل اليونانى يحكم عليه ياأستاذ بأنه شخص معدوم لأن العقل هو الموجود ...

— يامولاى إن احترامى للعقل اليونانى لا يحملنى على الاعتقاد بمنطقه ولا بتأليهه للعقل البشرى

— فأين الحق اذن ومع من ؟

— الحق، كلمة اتفق فى نطقها الجميع واختلفوا في تصويرها

— أتري إذن أنه من العبث البحث عن (الحــــق) ؟ أتدعو إلي الخمود والجمود ؟

— إنى أري فى العقــــل البشرى عبقرية الحياة لا عبقرية أهل الحق الخالد فالحق الخالد لا يأتى بالعقل .

— أهو في الحب والعاطفة ؟ أهو في الشهوة ؟

— إنه الحب . . . إنه القبس الالهي . . . ان الحـق الأعظم لهو الحب

— انَّ الحق كلمة لاتحمل الحب . . . ان الحق هـو العدل . . الميزان . . العقل . . . جوهر الأشياء

— ألم أقل يامولاي ان الحق كلمـة اتفـق النـاس في نطقها ليسلـــكوا فى فهمها مسالك شتي ، عندى أن الله هو الحــــق

— وما هو الله عندك أهو الحب ؟

— هو الحب . . هو الحـق . . هو الخـير . . مزيج من هذه جميعـا هو كل منها وهو جميعها

— وأين تجده ؟ انى لا أجد في كلامك الا تعبيرات أهل الأيمان الذين يوفقون بين اساطير الدين وفصاحة أهل اللسان . . .

— مولاى . . ان الله فكرة الأفـكار . . فأين تجده ؟

انه فى كل نفس .. ادخل الى نفسك تجده بالتأمل ...

— ستزجع احد مذاهب الهنود ...

واغتاظ الأستاذ غيظا شديدا لأنه اندحر فى نقاشه ولكنه تكلم في عصبية غفرها له المليك الباحث عن الحكمة

— مولاي ان المصريين قد فطنوا الى ذلك او الى بعضه فادعوا ان « ماآت » هى روح التاسوع الآلهى وهى تمثل العدل والحقيقة والعقل يحبها فرعون ويخدمها مدي الحيـــــاة اى انه يري الله فى العدل والحقيقة والعقل مدي الحياة ، ويظل يحرسها حتي يصعدا الي امون فى عليين ، يامولاى ان (ماآت) يحرسها الملك اثناء حياته فهو قد امكنه ان يوجد ما يمثل الالوهيه اذا هو احسن الحكم فلا تبحث عن الله الا في نفسك وكذلك فليفعل كل انسان . . . فالله موجود دائما .

— فالله موجود دائما ماوجد الانسان . . والله فكرة تتوقف على العقل الذى هو للانسان ! ما فكرتك عن الله الا فكرة يونانيه وهي ان الحق موجود بذاته وان من يعريف نفسه فقد عرف اشياء كثيره ، فاذا كان الانسان قادرا

على ان يجعل فى العالم قوة تمثل الألوهية فالانسان خطير الشأن وهذه فكرة يونانية ! ان رجال الدين دائما حاولو أن يدافعوا عن عقائدهم بأى ثمن . . أتدافع عن الباطل بالحق أو عن الحق بالباطل ؟ .

— بل أدافع عن الحق بالحق .

— وهل عقلك وحده هو الذى حظى دون عقول البشر بالحق ؟ إنه حق مخصوص

— اني لا أفرض رأيى وانما أبديه : فهو حق عام لرأي خاص

— أنتم يا فيران المكاتب .. يامن ضحكتم على الناس بتلك الألفاظ الجوفاء . . .

وسر الملك بالجدل وسر بصاحبه وإن كان قدخالفه في الرأى ولكنه تعلم علم اليونان الذين ذكروا أن العقل البشري جدير بالصعود إلي مرتبة الألوهية إن هو أحسن القيادة فكل حرفما يفعل . . .فلما واتته هذه الفكرة قال للمعلم بم تتكلم ؟ .

— بلسانى

— عما يعبر لسانك ؟ — عن رأيي .

وفي أي وعاء تكون هذا الرأى ؟

— في النفس — وبم تستطيع أن ترد على ؟ .

— بالعقـــل

وسخر الملك قائلا — إن العقل باطل عندك فكيف تدافع عن الحق بالباطل ؟

— مولاي إن العقل هو النفس وهو لسان الله يتكلم فى قلب الانسان

— هذه ملخص فكرة يونانيه سبق شرحها وهى أن الله فى الانسان وأن الألوهية ليست بعيدة عن الانسان ، هذه الفكرة موضوعة فى قالب ديني صوفى لا أكثر .

— مولاى ألم أقل لك إن الحق كلمة اتفقنا فى نطقها واختلفنا فى معناها ؟ بلى وحق مولاي ولكن هانحن نتحد فى الأفكار ونختلف فى التعبير حسب مشارب الثقافات وعلى كل فانى أومن بقوى خفية وما ذكرت ما قلته الآن إلا لاستطلاع رأي مولاى .

فالمعت عينا المليك وضحك فى غموض ورجع إلى

حجرته الخاصه ونظر السماء فتذكر أن المصريين رأوا السماء على شكل امرأة منحنية على الأرض يرفعها «شو» إله الهواء على يديه فيد على ثدى السماء ويد على نخذها لعل المرأة قداسة وذهب ليقضى ليلته بين أحضان (اوشاس). لعلها توحى اليه أين الحقيقة بعد ان اجزم انه ليس هناك حقيقة .

— ٥ —

دخل المخدع ورأى (أوشاس) جالسة في كرسى قدماه على هيئة أقدام الثور ولما اقترب من عينيها الساجرتين رأي دمعتين وسألها ما الأمر ، أجابت أنها عثرت فى مخطوطات قديمة علي قطعة شعرية حزينة ، لعلها مصرية ، ولكن العجيب أنها لم تتحدث باسماء الأماكن والآلهة المحلية وانما تتحدث عن كل مكان وزمان ، كانت على ورق البردى . وترجمت للملك ... (وردة على قبر ..

عندما نشر شيطان المرأة التى كان يحبها رايته السوداء على حياته فأحالها ليلاً بهيما استل منجله الطويل

وانحدر من تيه الشكوك إلى صحراء الحب وهناك في مقبرة عتيقة بالية حيث ينبت الحسك والحنظل وتحت نخلة هرمة مضمحلة تعلوها أعشـــاس البوم . هناك كتب بالدماء والجماجم (القلوب المنتحره) اختط بمنجله الأرض وحفر لقلبه قبرا .

وظل هناك تهب عليه أعاصير الشكوك فتتسلل تيارات هوائها إلى داخل المقبر تفتت ذراته وتخفف عنه بهذا الافناء عذاب الجحيم . . . لكن جذور الحسك والحنظل امتدت في الأرض وامسكت الميت عن الفناء التام وبقي يقاسى عذاب السعير . .

وفي فجر ندى جميـــــل مرت ساحرة رأت أن تبعث فيه الحيـــــاة من جديد . .

انفرج عنها الضباب فأقبلت مع الشمس في الشروق لتلقي على قبره وردة قرأت عليها التعاويذ . . وكأنما انسابت دماء جديدة من حمرة الورد تبعث الروح في الهيكل المحطم وبعثت ابنة الشمس إلى حياته الحرارة . . .

وانقلبت المقبرة مدينة أحلام والحسك والأشواك

انقلبت أزاهير يصنعان منها التيجان وأصبحا أميرين لمدينة الأحلام . . لقد ضحكت الدنيا : انقلب البوم بلابل وثمر النخله المضمحلة انقلب خمـــــرا معتقا . وحان الغروب وحان لابنة الشمس أن تصعد مع الشمس وسوف يعود إلى قبره . ليته لم ير النور حتي لا يشقي من بعده بظلام أو ليت أحلامه طالت ولكن هكذا حياة الشعــــراء وعمـــــر الربيع قصير . . . .

سيعود بآماله إلي مقبرة القلوب المنتحره حيث الحسك والحنظل والنخلة العتيقة بجوار منقع الماء الآسن يعلوها البوم مردداً أغاني القبور . .

لا وردة إلا مع الحالم ليرحمه الله . لقد كان قلــــبا جديرا بالحياة ولكن هل تحتفظ الحياة بما هو جدير بها ؟ ليرحمــــه الله)

(أوشاس) أيتها الروح الشاعرة . إن المليك لمخطيء اذ لم ير فيك غير انثى فيالك من مظلومة . ألست روحاً هائمة حول قلبـــه ؟ الست جديرة بالحب النقي السامي ؟ الست مثالا للروح الجميلة الشاعرة ؟

فليكن يونانيا ولكن ليكن أفلاطونيا .

الحب النقي شيء جديد ملتهب لمله الحق

وأحس بعاطفة جديدة نحو (أوشاس) وخرجا إلى الشرفة فسمعا المغنية الهنديه ...

(لقد كنت أعرف أن التراب هو ذرات آبائي وأجدادى .. لذلك رأيت فى الأرض أعز ماعلك ...

ولكن حينما أحببتك .. حلت بي روح جديدة .

فقالوا خذي أسلاك قيثارتك من الفضة فرأيت حبي أشد لمعانا من الفضة ولما قالوا خذي الأسلاك من الذهب أبيت لأن الذهب ابن الأرض الحبيبة القديمة وحبك قد خلقني من جديد ... حبك لى شيء جديد لم يعرفه من أصبحوا ترابا إلي جوار الذهب .

أريد أن أغنى لك في المساء فمم اتخذ اسلاك القيثاره ؟ أأتخذها من شعرك وهو أثمن حرير عندي ؟ . ولكن أخشى أن يتقطع شعرك أمام حبي الخالد ! .

أريد أن أغنى لك فى المساء فمم اتخذ اسلاك القيثار ؟ أريدها حارة ، وهاجة ، أغلى من الذهب ... كحبي . .

أريد الأسلاك من أشعة الشمس التي تشرق كل صباح كحبي ..

وعندما نموت ياحبيبي جنبا إلي جنب أو متباعدين فاذكر دائما ان الأشعة التي تبعث فيك الحياة انما هى حبي ... عندما نموت ونصبح ترابا ونستحيل اشجارا مزهرة . أعرف أن أشعة الشمس التي عليها تعيش هى اللحن الخالد الذى يردد إلى الأبد قصيدة حبي)

ماهذا الحب يا (أوشاس) ؟ ماهذا الشعر بإلهة الجمال إنها لنادرة ان تكون امرأة شاعرة إلى هذا الحد شاعرة كل هذا الشعور ما اشهي الحب الصافى لعله الحق يامن تبحث عن الحق .. الم يقل المعلم (أيا) ان الله هو الحب والحق والخير وهو كل منها وهو هي جميعا ؟

أيتها القصيده على مر الزمان خالدة ماهو الحب ذلك الحب الصافى النقي الجميل ؟ ان الحب ان صفا يجب ان يخلو من الجسم فليبتعد عن (اوشاس) لتكون الهة حقيقة لقلبه !

لعل مس شعاعها قلبه يكون نورا كاشفا عن اغوار البئر القديمة ، الحقيقة ، كلا ان الحقيقة قد تكون فى بئر عميق ولكنها ليست هى هو .. هي ماس فى أحجار ذلك الجب القديم .

كان يسهر الليالى مفكرا فى معنى الحب وحقا لقد أحب أوشاس لما ابدته نحوه من عطف يحسه قلبه ويمسه جنانه بغض النظر عن انها امته واسيرته .. ولكنه حب فاتر لأنها امته واسيرته ولأنه يملكها إن الحب يستعبد الحر ولا يرضى استعباد الرقيق . فتركها حرة وقطع على نفسه عهدا الا يمس حريتها لتهب قلبها وجسدها لمن تشاء ولكنه يحبها حبا صافيا نقيا فوهبت نفسها لغيره لأنه قاطعها

وجن جنونه ، اين الحكمة ياصاحب الحكمة ؟ واين الحق ؟ بالمرأة المخلصة لم يرض ولا بالغانية قد رضي .. ما هو الحب ؟ الحب هو الرغبة في شيء ينقص الأنسان فالحب قائم على اكمال الحياة والحياة تعيش بجسدها وبقلبها وبعقلها .. الرجل يحكم المراة بالعقل .. والمراة تحكم الرجل بالقلب والجسم يحكمها معا ! . هذا هو الحب : فأين

الصفاء وأين النقاء فى الحب وهو ابن الحياة الذي لا يخلو من الجسد ؟ انما الأمل الواسع فى الكمال هو الذى خلق هذا الجو السحرى المليء بالشعر والخيال والذي رفع الانسان إلي درجة المثل العليا ليفكر في النقاء والصفاء . . . ولقد وجد الملك في المكتبة التي كان يقضى أوقات فراغه فيها حين يخلو من أعباء حكم البلاد الجديدة مخطوطين يحملان قصائد عدة حول مواضيع الحب . . . على أن قصيدتين اثنتين لذلك الشاعر المحب الذى كتب قطعة « وردة على قبر » . . . استرعتا انتباهه رغم عدم انتظامهما وانسجامهما ورغم ضياع كثير من الحروف وصعوبة الترجمة لتلك اللغة القديمة . . وتأبى جميع المصادر أن تفيدنا في أى بلد من بلدان الشرق كان ذلك الشاعر المجيد . . . ذلك الشاعر المجهول . . . ذلك المحب المعذب المجهول . . . ذلك المطعون دائما طيلة حياته ومات ايضا بالطعان . . . ولقد استعان المعلم « أيا » بفهم القصيدتين فى وضع الكلمات الناقصة منها حتى أمكن أن تكمل أمامنا اليوم . . . وقد عني بهما المليك لأنهما عبرتا تماما عن رأيه الجديد في الحب ، ففي واحدة يرى الشاعر

أن لا حب بدون جسم ويتعذب لذلك أشد العذاب وهي :

« نبا بي المضجع وحات الفتاة بوادي الفكر والخيال ، والذهب إن كان أكثر صفاء كنا له أكثر حبا ومهما صفا فهو مادة وكذلك الحب فيه الجسم والجسد فان ومع ذلك نسمي الحب روحاً .

حدثتنا كل الأديان عن الجـــزاء والعقاب ولكن في صورة مادية . . ونزلت كتب الحكمة لتبعث الروح في الأجساد — فباعتراف كتب الحكمة كانت الأجساد قبل الروح .

والجسد مادة والحياة تقوم في الجسد ، هذا ما أفهمه من أن الحب هو الحياة كما يقول المحبون . . وللجسد طبائع وعادات ففيه نوع من الفرديه والتكيف بالبيئة والتأثر بها ، هذه الروح التي عنها يتحدثون . ولم يتمالك العاهل الفتى نفسه من أن يصيح ، إنها الروح اليونانيـــة تسيطر عليه وليست خرافات الشرق . . . إنه صاحب منطق . . والروح اليونانية ترى هذا . . وهنا صاح « أبا » مولاي معذرة إن طلبت منك الصبر حتي أنتهي من الترجمة فتبدي رأيك

السامي لأن هذه المقاطعة تقطع حبل أفكاري . . « ومع هذا نتألم وتحل بكؤوسنا الدموع وبطعامنا المر إذا حل بنا الحب ، نتحدث عن السماء ويرتفع خيالنا إلى ألمع النجوم إذا حل بأجسادنا الحب ، نصعد إلى الملائـــكة في حين تندفع بأقدامنا إلى هوة الشيطان . . تمر مواكب الدهر تحمل مخلوقا عجيباً ظاهره ملاك وقلبه شيطان ، بيده سهم مغطى بالزهور يصميه إلى قلوب البشر وقد وقفوا فاتحين صدورهم لهذه الزهور فاذا السهم يشق صدورهم ويستقر فى القلب ويبقى الزهر خارج القلب !

وترن فى الفضاء ضحكات هذا المخلوق العجيب الساخره . الألم في الحب يسمو بالروح ، وتصل سخرياته إلى آذان الجحيم فيهلل الأبالسة والشياطين ويوقدون النار للفريسة الجديدة ، يتعذب الانسان والحب يسخر ويودي به إلي هوة الشيطان ويترك الانسان وأيامه قد فنيت في دخان وعظامه في مثل وقود قد يبست .

ويستبين فى العقل صوت الله — إن كنتم بالروح تعشقون فأنا الوحيد من تعشقون . . .

. . . ان كنتم بالروح تهيمون فلم بالجسم تهيمون ؟

. . . وفي الورقة الثانية من اوراق البردي استمر الشاعر يقول

يا الهي — ارفعني الى جبلك لأحتمي قريبا من السماء من شيطان الحب وصعدت تلاً قريبا من جبل الله فرايت ملاكا عزاني عن مصابي ودعا الله من جبله المقدس ومن هيكله الأقدس واستودعني الله تاركا أخته مي وكانت فتاة هي اخت الملاك ! . . فيها فتنة الدنيا وروح من السماء . . بيدها جعبة تجمع فيها أزاهير الجبل وقد بانت يدها البلورية تخجل من الأزاهير أجملها وانسكب جمالها على نفسي انسكاب ماء الورد على المريض بالحمي الصفراء . هي من كنت عنها أبحث في خيالي ما أسعدني ، ما أسعد انسان الي نجمه السعيد قد صعد ، وكانت قبلتها خمراً وجمراً . . وحان رحيلي بعد أن تواعدنا على اللقاء في أحضان أشجار المشمش وقذفتني بباقة زهر فاستسلمت لهـا فاذا بالورد يسقط واذا بسهم في صدري وقلبي يصيح ؟ وتلفت حولي لأرى الفتاة قد انقلبت شيطانا ماكراً هو شيطان الحب ونظرت الوردة والنرجسة فعرفت أن سهم الحب أصابني ونظرت زهرات

الشمس قصيرة العمر مثل الأحلام التي يصورها الشيطان أيها الشيطان أتسخر مني أنا المتمرد عليك ؟

أجاب وفيمن أطمع ان أسخر إن لم أسخر من المتمردين عليّ ؟ إني لأسكن قلوب أكثر أولئك الذين لا ينفكون يذمونني ، إنهم ينتقمون مني بالقول فيما عجزوا عنه بالفعل ! وهكذا شربت دموعي مع كأس أحلامي وسمعت الأبالسة تعلن انتصارها على الفريسة الجديدة واستبان في العقل صوت الله — إن كنتم بالروح وحدها تعشقون فأنا وحدي من تعشقون ، ان كنتم بالروح وحدها تعشقون فلم بالجسم تهيمون ؟ ألم تعودوا بقادرين على التفرقة بين الروح والجسد ؟ . . . إليكم أيها القادمون في طريق الزمان أنا الباحث عن الحب لم أجده إلا بين أوحال الحياة فاحذروه . . . ومع هذا سوف تحبون ... كاتبه ملك من الملوك هام بالشعر . . وهام بالحق وعرف أنه في مكان يدعي « مآت » سأذهب اليه ذات يوم لعلي أعرف الحقيقة . . »

استرعت تلك الفقرة الأخيرة اهتمام العاهل الفتي واعتلاه الوجوم . . لعل القائلين بالتناسخ قد صدق زعمهم

وأن روح هذا المليك قد حلت بهذا السيد الجديد . .

وترجم الأستاذ « أيا »

« إلي الدوح المزهر النضير اعتزمت الرحيل بعد أن رأيت الغروب أرغب الشروق لتمـــد حبستني الليالى فى سجنها فأردت الحرية فى ضوء النهار حيث أرسل أناشيد الحياة . . أردت ان ألحق بالطير السارى تحت الضوء فطار بعيداً في الأفق الواسع وتركني . هى المرأة علتى ياسماء الله . امرأة تحسن العزف على أوتار كل قلب ، فيحسب كل أنها له وحده بينا هى للجميع . . تحمل السهم وغصن الزيتون . انها زهرات عجيبة الألوان لكل لون معنى فتحسب فيها المعنى الذي تريد بينما هى الألوان جميعا فى نفس الوقت .

يا إلهي هبني صديقا يقاسمنى المر ويمسح عنى الدموع

هي امرأة ماكرة ليس فيها عقل بل فيها جسد وهوي .

ولقد كان قلبي روضة مقفلة فجاءت هذه المرأة تغرى الروضة بغرس جديد . . تسللت إلى قلبي كالخيال وكان بيدها خاتم سحـــري يجيب المطالب ويحقق الأماني فحققت أمنيتها فى الاستيلاء على قلبي . .

يا إلهي الذي في السموات العلى .. هبني من يقاسمني الدمع ويمسح عن عيني الدموع واهتزت أعواد المنابر وتماثيل الآلهة وقال وحي الله . وجدناك تدعونا أيها العبد الضال في حرقة ولوعة إلى ايجاد صديق يشاطرك الأسى . ألا فاعلم أن طلبتك من الآلهة قد أجيبت

وصادفت في الحياة صديقا وراح للمرأة يرجوها ألا تفعل أفاعيلها السحرية بروضة طيبة

ولكنها تشاغلت عنه ودخلت إلى روضته هو الآخر فامتلكت قلبه وأحبها ! واغتظت وذهبت لقتل صديقي . ولكني تذكرت اخلاصه وتآمرنا ضدها على مكيدة حاسمة فاذا بصوت يصيح في قلبينا

دبرا ماتشاءان فانا في قلبيكما ؟

ألا ما أقوى المرأه

أيتها الأجيال القادمة في طريق الزمان احذروا المرأة ، ولكنكم ستحبون حتما . كتبه ملك من الملوك بحث عن الحق في كل مكان وعلم انه في (مآت) فهو ذاهب إليه »

وكانت الأفكار قد سلكت بالأمير كل مسلك فهل يعتقد بخرافات التناسخ وهو المؤمن بالعقل اليوناني ؟

وهنا سأل (أيا) اما تعرف مكاناً يدعي (ما آت)

وفرح الرجل وبرقت عيناه ببريق الشرق الغامض الحالم المؤمل وقال . لعل للقائلين بالتناسخ بعض الحكمة يامولاى ربما روحه قد حلت بجسمك . إني أدرس السحر وأعرف مكاناً بعيداً يتعبد فيه الانسان ويظل في تعبده ودعائه حتي ترشده (ما آت) إلي الحق سواء في اليقظة أو في الأحلام

وسخر الملك قائلا : لعل الحقيقة في السحر في الخرافة في اللاحقيقة . على أنه استدرك فقال : وما فلسفتك الطويلة التي بادرتني بذكرها تلك التي تنم عن تعمقك في دراسة فلسفات اليونان ؟ مالك قد عدت ساخراً ؟

وهنا ابتسم الرجل — ذلك كلام تعلمناه لنقنع به الجهلاء ونحن لا نؤمن به . ان منطقا لانستطيع أن نسميه كذلك — لأنا لا ندركه — يحكم هذه الدنيا ويسوسها .

— ٦ —

وفي المساء انثرت زهر النجوم . . أيتها السماوات . .

ما الحقيقة ؟ لتكن رقعة السماء كلها مضيئة لنعرف الحقيقة . هل الحقيقة في السماء اذ تبدو على مر الأيام ضياؤها وتزداد النجوم حتى يأتي يوم لا يعرف فيه الظلام ؟ . وحملت النسائم الرغبة فى (أوشاس) الجميلة الرائعة التي ضيعت الصفاء والنقاء من الحب ولم تعد غير أنثى ومع ذلك يحبها ، الا ما أصدق ذلك الملك الشاعر صاحب القصائد . وفكر من جديد فى (ماآت) البعيدة كل البعد التى تعتمد على الخيال والحلم والسحر . لقد حمل لأوشاس كل حقد ومع ذلك فقد تمناها وناداها فأرسلت له قائلة : — إن سيدى قد أراد أن يحبني حباً صادقا ، ولذلك وهبنى الحرية لأن الحب يستعبد الأحرار ويأبى استعباد الرقيق . فهي في حل من أن تعتذر وتتمنع ! ونادي غير (أوشاس) وأقام ليلة حمراء شرب فيها النبيذ المعتق الذى باركه باخوس بكرم من قهرمان قديم ونادي المغنية التي كانت أوشاس قد أوصتها أن تغني له

.. الالهة نفسها تحب .. وتعشق وتهيم ..

لقد كان تاموز الهاً جميلا في ريعان الشباب

وأحبته اشتار الهة الهوى والفتون .. والنسل

.. واشتعلت نار الحب اشتعالا فى قلبها فأخذت قطعة من الحديد صماء وحورت شكلها في النار إلي سكين .. وحينما تجددت في قلبها وجسدها النيران دفعت السكين في قلب تاموز . وبكت أشتار آلهة الهوى زوجها المحبوب وتفاقم اللهب إزاء الفــــراق المريع فذهبت بعد استعطافها الآلهة إلي العالم الآخر .. وسجنت هناك إلهة الهوى والشباب وانقطع عن الدنيا النسل ولم يعد يعمرها حب ولا هوى والناس أحياء كالأموات لأنهم لا يتحابون ولا ينسلون ؟ فرأت الآلهة أن تبعث إلهة العشق والنسل إلى العالم فعادت تقبل زوجها الذي عاد معها . وانتصر حب آلهة الفتون والنسل .. وسرى إلي الناس حتي اليوم ! أهذه حقيقة الحب ؟ نعم اذن فالحب جسدي والجسم لا يؤدى الي حقيقة ... وسمع أن (أوشاس) حبلى .. لأول مرة .. وسوف تضع له ابنا ولكنه تشاغل عنها بامرأة أخرى وان كان تمنعها قد أشعله رغبة فيها !

وذهب الي المكتبة واعترته بعض الدهشة اذ وجد تمثال (أرسطو) الذي قذفه من الشرفة حين قال له (اذهب

للبحث عن المحرك الأول بين الأفلاك) وجده مخطئاً وتذكر أن أرسطو بنى بحثه الميتافيزيقي على علم الفلك الذي كان قد تغير في ذلك الوقت ، فالعلم يتغير من حين الي حين ولكن مع هذا نجد المعلم الأول اليوناني يعتبره الأساس في بحثه الهام عن المحرك الأول للعالم

لماذا لايخطىء اليونان كما يخطيء سائر الناس ؟ ولماذا لاتكون الحقيقة في السحر والخيال والوهم ولعل اللاحقيقة تحمل معنى الحقيقة . . وراح يقرأ أوراق البردي التي تحمل أشعار الملك الشاعر المجهول الذي بحث عن الحقيقة في (ماآت) وفكر في (ماآت) هذه أين تكون ؟

ونادى (أيا) المعلم وابتسم قائلا — وأين السبيل الي (ماآت) يا أستاذ ؟ فابتسم الأستاذ ابتسامة غامضة — انى أدرس كتب السحر واستنطق آثار ذلك الملك المجهول الذي هام بحب الحقيقة في يوم من الأيام وأكثر الظن أنها بعصر لأن جو القصائد التي كتبها الملك شبيه بطبيعة وادي النيل — وثانياً ان الاسم (ماآت) هو روح التاسوع في عهد ديانة آمون المصرية . ولقد حدثتك يامولاى . أنها روح الحق

والعدل والحقيقة . . ولكنني أتساءل كيف كان مقر هذا الملك مصر ثم يذكر أنه ذاهب إلي مكان يستدل بالمعنى على أنه مكان بعيد عن مصر

— وهل أنت على يقين من أنه عرف المكان بالضبط أو وصل اليه ؟

— سوف أدعو كتب السحر أن أحلم حلما يدلني على المكان .

— سنرى سحرك يا صاحب السحر ؟

وحلم الملك حلما غريباً : —

رأى حديقة مثمرة فيها شاب وفتاته الطموحة التي تنشد الثمر من أعلى الشجر وفي ضوء القمر بدت الفاكهة جميلة كثريات السماء فصعد الفتي اليها وكلما امتلأ جوفه منها قلت قيمتها ! . . صعد وظل يصعد ويقذف لفتاته التي مازال تغريه بالصعود إلي عليين وفجأة قالت له : انى أري فوق الشجر ماسا براقا أخاذا . انه مناي . . انه لعجيب أن يكون الماس في الشجر . . لعلها شجرة الماس التي عنها يتحدثون . . اصعد فاني أريد من هذه الماسة الكبيرة تاجا . . هيا اصعد

واقبض عليها حتى لاتطير .

وأغراه الأمل وصمد وأراد ان يفاجيء الماسة الكبيرة بالقبض عليها في العلى وهم يقبض عليها ولكنه قبض على الهواء فسقط على الأرض صريعا اذلم يكن في قدرته ان يعطيها القمر ! وضحكت صاحبته وسارت الي غيره ليذهب ضحية طموحها . . وعندما سارت في شباب الأرض كان وراءها اسم مكتوب (مآت) ولكنه مكتوب بالأزهار وبالنار !

وصاح الملك صياحا مزعجا ثم نام وحلم من جديد .

كان يسكن قريباً من الحوريات المغنيات المدعوات (سرينات) في أسطورة الاغريق رجل أصم ومر بجزيرته طبيب حكيم وفق الى علاج الصمم وحقق بذلك للرجل أعظم أمانيه التي كان ينشدها وهي السمع . . لأن كل من مر بجزيرته سواء كان في زورق أو في سفين كان يذهب ليسمع ذلك الصوت الموسيقي الرائع الخلاب الآتي من بعيد . فلما عولج الرجل من صممه وأراد ان يذهب الى وادى السرينات وسط العباب والأمواج — وحسب ان السعادة والجنان في تلك الجزر السعيدة — وذهب ليلقي حتفه حيث

ظن سعادته كما لقيه كل من مر به من الحالمين الذين يريدون أن يلمسوا حقيقة السعادة ! . ووجد السرينة الكبري وقد كتب خلفها بالأزهار والنار (مآت) وصاح الملك صياحا مزعجاً . .

ورأي بعد ذلك حاما يمثل أسطورة الطوفان الكلدانيه . . بعض الآلهة تتآمر على إغراق العالم عدا واحدا من البشر . وملأ العالم الطوفان وصير أعلى جباله وأعمق بحاره سواء . . وسار صاحبنا الآدمي بمركبه على الأمواه . . وصار عزيزا عند الآلهة هو وزوجه فرفعتهما إلي مقامها . وكان أبناؤهما في نعمة جزيلة فامتدت لهم بسط الأرزاق . . واغتروا بأنفسهم وملأت نفوسهم الكبرياء . . فبنوا في بابل برجا هائلا ليصعدوا إلى الآلهة ولكن الآلهة أنزلتهم إلى الأرض في ذهول وأصابتهم الآلام وحلت بواديهم المخضار المزهر المر والحسك . . وحلت بعيونهم اللامعة بالأمل الدموع . . وعندما تبين الآلهة التي كانوا يسعون لها والتي أنزلت بهم هذه المحنة وجدوا اسمها مكتوبا فوق أشلاء القتلى (مآت) !

وكان الصباح وارتاع الملك للأحلام ولكنه يوناني

التفكير فراح يستنطق كتب ابقراط ويستعين بأطباء القصر فعرف أن تلك الأحـــلام المزعجة انما حدثت لأنه أفرط في العشاء والشراب ومتعة البدن .

أكان ذلك الافراط بلا سبب ؟

هل أراد أن ينسى (أوشـاس) التي قاطعها فصبرت صبر الملكات الكريمات ولكنها سوف تنجب ولدا أو بنتا فلعل في الأبوة والبنوة بعض الحقيقة .

* * *

ووقف من شرفـة المكتبة علي الكتائب والجيوش يستعرضها في الساحـة التي لاترى العيون نهايتها . . . وهناك في الجانب قام البحر . . يلقي بأنفاســه الموجيـة إلي الأرض منذ الأزل وهو يهمس فيها بالأسرار فمن عرف سره ؟

ورأي العالم بسيطا غاية البساطة لمن شاء أن يعيش ابنـا للدنيا وعاودته الرؤي والأحلام فرأي العالم لغزاً معقداً دون حله فناء الجسم وعذاب الروح

ولم ينس تلك الأحلام الغامضـة التي تنبيء بهلاك كل تطاول على معرفة سر من أسرار الوجود .

.. رأى أن كل ماوصل اليه هزيل ضئيل وان كان من قبل الوصـــول إليه عظيما غاليا . فها هو يملك المال والسلطان وها هي رقعة دولته قد اتسعت والدول تنحني أمامه انحناء الاماء ، وها هي ذي (أوشاس) المثـــل الموحي للشعراء والفنانين ، وغاية ماتمناه الملوك من بهاء الدنيا وجمال الكون .. ها هي بين يديه وهو مع ذلك يهجرها ويعاملها في دلال وكبرياء ، وقد كانت من قبل آلهته المعبودة .. فأين يجد ذلك الينبوع الأسمي لروحه العطشى ؟ أفي الكتب وفلسفة الحكماء التي قتلها بحثا فلم يخرج منها الا بتجدد الرغبة في البحث ؟ أين الحق اذن ؟ انه في الدين ، في الله ، ليبحث عنه في كل مكان وليتبع الرؤي والأحلام فلعلها تهديه إلى الصراط المستقيم !

وانتشرت زهر النجوم في السماء بعد النهار الطويل .. وفي الليل ذي النجوم تجد الظلام الذي ترفرف فيه الأحلام المؤماة في النـــور .

... أين الحق ؟ في الله ... في السماء ... فأين الله ؟ وما سر السماء ؟

ما أحراه أن يكون مثل (كيريز اشبا) في أساطير الفرس . . ذلك الذى صنع حسنة ولحقها بسيئة فلم تعرف الآلهة أين يكون مكانه . . ووضعته على الأعراف بين الجنان والسعير . . بين الحق الذي لاحق غيره وبين الضلال الذى لاضلال بعده . . هو بعينه ذلك الملك الشكاك الباحث عن الحق ولا يعرف أين هو والمبتعد عن اللاحق فلا يدرى أين هو فوقف حائراً لايدري المصير مثل (كيريز اشبا) الذي لايعرف أمصيره الكوثر أو عذاب السعير ؟

— ٧ —

وعندما اتشح الليل بمسوحه السود دخل المعبد بين الشموع التى تذوى لتضيء . . وشم الأبخرة التي تتلاشى لتبعث النشوة إلي الآلهة . . وأمام الضحايا التى تموت لتبعث الآلهة الحياة في الناس والكائنات .

رأى النقوش على الجدران فيها الفن الذى تصاعد من قلوب الفنانين كما تتصاعد الأبخرة والعطور من مبخرة عاجية في معبد الآلهـة . واعتراه الخشوع ولكن سرعان ماذهب في اغفاءة أبعدته عما يرى وأنسته مافي الدنيا وراح فى وادى

الرؤى والأحلام. قالت له (مآت). حيث تجد الزهر الجميل السام، حيث تجد الببغاء الفصيح الذي لا يفقه شيئاً، حيث تجد الماس في الحجر ولا تستطيع أن تأخذه، حيث تجد الموت حياة والحياة موتاً — سوف تجدني أنا الحقيقة والعدل والعقل.. أنا (مآت).

واختفت مآت..

وجاءت آلهة أخري — ماهذه الشموع والطيوب والضحايا والتصاوير والتماثيل في المعابد؟ هل ترضى بها وأنت ابن الفكر الاغريقي الدقيق المنطق السليم التفكير الذي ينبض بالحياة في الفن بعيداً عن المغالاة عند الشرقيين.. ماهذا الموت إنك لن تجدني هنا مطلقا.. أنا الحقيقة.. إنك تجدني في قلبك.. في نفسك وحدك.. اعمل لي سوف تجدني أمامك أفصح بلاغة وتعبيراً وأروع تقديراً مما تري أمامك من تصاوير وشموع.. أنا في نفسك.. أنا وحدي التي عنى تبحث، ألم يقل أبوك (إن الحقيقة أسهل من أن نجاهد في سبيلها) لأنها في نفسك أنت وحدك؟...

أنا أعلم أنك لا تحبني لأني في نفسك ، وأنت يونانى الفكر باحث ، والبحث شك . . ستظل طيلة حياتك باحثا وكلما وجـــدت شيئا لم تعتقد أنه الحقيقة حتى لو حظيت بالحقيقة نفسها لظللت تبحث بعدها . ولو كان المحال ووصلت إلى كل أسرار الوجود فستجد نفسك إلهاً ولكنك ميت ابن ميت . . أنا الحقيقة فى نفسك وعملك . انا من أسماء الله أناديك باسم الرحمة التي هي اسم آخر من أسمائه الحسنى . . ان دعك من البحث والشك . . هذا الشك الذريع الذى يأتي عليك . . ماذا عليك لو عشت قانعا بالحياة تحكم بالعدل والعقل فتحقق معنى كلمة (ماآت) التي تريد ؟ إنك إنسان فلا تكن مغروراً إنك لن تدك الأرض ولن تهز الجبال . . وما انت بخير من كل هؤلاء الذين بحثوا عن الحقيقة . فوق شجرة الماس التى رأيتها ، وعلى الجزيرة القريبة من جزر السيرينات ، وفي أسطورة الطوفان عند الــــكلدانيين . كل من هؤلاء المغرورين ذهب ضحية الغرور والـكبرياء والشك فلا تكن منهم . . انا الحقيقة أناديك من قلبك . . ذلك الصندوق الالهى المغلق الذي سيطلعك كل يوم على سر جديد . .

أنا الحقيقة فى نفسك ألا تسمع صوتك ؟

هـذا العالم الملىء بفنون الكائنات لايجب أن يغريك لأن نفسك فيها أغني مما فيه . فيها العقـل والشعور . . إنك ترى العالم بالعقل والشعور فلو ذهبا هل ترى شيئا ؟

أنا نفسك ألا تسمع صوتك ؟

واختضبت (مآت) الثانية

وجاءت إلهـة ثالثة — وقالت — إنك ترى نفسـك متردداً كل التردد كلما وصلت إلي معرفة جـديدة . . إنك لاتثق أنك وصلت إلي أي حقيقة . . ومع ذلك تخبرك تلك التي تنتحل لقب (مآت) إن الحقيقة في نفسـك فاذا كان الأمر كـذلك فيجب أن تستشعر من نفسـك الطمـأنينة والدعة والفـرح لأنك حظيت بمعرفـة الحقيقة ولكـنك متردد فليست هى الحقيقة تلك التي أنبأتك أنها الحقيقة وإنما أنا الحقيقة فابحث عنى — أيها المحب — فى الأرض فى الدنيا الشاسعة بين الجبال والبحار حيث تجد اسمي مكتوبا بالأزهار وبالنار (مآت) أنا جميلة وعظيمة نادرة فلا تنالني حتى تشقي شقـاء يستأهل الحقيقـــة وذهبت (مآت) الثالثة

وجاءت إلهة جديدة وقالت : أأنت تبحث عن الحقيقة ؟ لماذا لا تأت إلى ؟ ليست الفلسفة ولا العلم ولا شيء من هاتيك الأشياء جميعا أنا الحياة الحقة لأنها أنا الحقيقة أنا الموت . تعال إلي لتعرف الحقيقة سل أي عاقل بل سل نفسك أليس الموت هو النهاية المحترمة ؟ أليست هذه الدنيا متاع الغرور وما هذا المتاع إلا قليل لا يذكر بجوار استمتاع ذلك الذي يعرف أسراري ويحظى بحلمه المنشود ؟ وذهبت (ماتت) الرابعة وجاءت إلهة جديدة : آه منك بعد طول الهجر . ماهذه الحيرة وهذا الاضطراب . أنا زوجك الحبيبة . انا أمك . انا ابنتك . أنا المرأة شريكة حياتك فلماذا ياحبيبي الشاب تعاملني فى دل وتيه وكبرياء ؟ لقد أتعبت رأسك الصغير لأني بعيدة عنك . شغلت لياليك بما لا يفيد أنا الحياة انا نار الفراق إن غبت عنك ، أنا نعيم الحب إن أقبلت اليك تعالى إلى في خدرى ولا تبحث عن غيري فى بطون كتب الحكمة والفلسفة ولا تهيم بين المعابد . تعالى أدرس على أعاملك الحب وهو خير مما فى بطون الكتب وان تاقت نفسك العبادة فسوف أنصب نفسى صنما تقبل

موطىء نعاله . دعك من كل هذه الأمور . إن خدري لهو
عالم بأسره وان صدري لهو عشك الهانىء يرفرف فيه خيالك
بأسعد الأحلام ، تعالي ياصغيري . وذهبت (مآ ت) الخامسه
وجاء إلهات صغيرات جميلات براقات قالت إحداهن
وقد كانت وهاجة كضوء الشمس انا الذهب الذى منه كان
قلب أبيك الحكيم . أنا الثروة والجاه والملك المريض .
أنا النعيم . وقالت الثانية وقد كانت ناضجة الجسم فيها
القوة والنشاط أما انا فالصحة حيث تنعدم الآلام . أنا
خير من كل مارأيت . ألم تمرض فتعرف الأوجاع
والأحزان والمر ؟ انا الراحة تعال ياحبيبي اخترنى وحدي
دونهن جميعا . وقالت الثالثة وقد كانت بريئة صغيرة . .
أما انا فكلامى أبعد ما يكون عن الرياء لأنى طفلة . انا البنوه .
النسل يخلدك وانت عظيم تنشد الخلود فتعالي إلى ياأبى
وقالت الرابعة وكانت ضعيفة فقيرة الجمال . لا يغرك جمالهن
المزيف . أنا الفلسفة والعلم والعرفان . أنت ابنى فتعال لتعرف
الحقيقة .

وصحا المليك فوجد نفسه فى خدره محموما

أين الصادقة ؟ كل منهن تدعي الحق فأين هو الحق ؟
آه لهذا الشك المميت . أين المصير ؟

هل عرف كيرنز اشبا مصيره وهو على الأعراف ؟
فكيف يعرف الأمير مصيره وهو لا يدرى النار من النعيم ولا يستطيع التمييز بينهما ؟

— ٨ —

أرسل المعلم (إيا) إلى الأمير يستقدمه لاطلاعه على ترجمة لقصيدة جديدة للملك الشاعر الباحث عن الحق ورأي الملك أن يرفه عن نفسه بشعر الشاعر ثم يستطلع مكان (ما آت) روح الحق والعدل والعقل .

ولما وصل الى المكتبة حياه المعلم تحية تفوح لهفة وشوقا وكان المعلم قد وجد فى المليك ضالته التي تحقق له البحث عن طرق لا يستطيعها هو . فقال ـ استمع يامولاى وسرى عن نفسك فهذه قطعة لذلك الشاعر الهائم بالحب الباحث عن الحق . يصور فيها شكه اذ اجتاحته أزمة عاطفية يتصور فيها الشياطين وما أحرزته من فتنة وجمال . عنوان القطعه (حلم ليلة الصحراء)

(فى الصحراء الرحيبة حيث ألقى الليل وشاحه على الأرض الذهبية . هناك نمت من الضنى وعناء الطريق . هناك فوق الذهب المتشح بالسواد حامت حاما

. . وقفت ببابى الشياطين فاغرة افواها مثل كهوف تقطنها الثعابين . وتضحك في أذنى ضحكـــــكات تزن رنين الحجارة الملقاة فى قاع هوة سحيقة مظلمة ، تلوح لى مناجلها في سواعدها الثعبانية ، وقد بدت حمرة الدماء فوق المناجل ، ونيران الشر تتطاير من أعينها المشتعلة . وأشواك الغدر نبتت كالشعر في أجسامها المطفأة . تقف ببابى الشياطين على هذه الصورة تريد ان تقهرنى لأنى تمردت عليها ولكن رغم الذعر والظلام اجد من روحى الطموحة صخرة الشجاعة ألوذ بها . لـكن الشياطين لاترضى بالهزيمه وتعرف كيف تهزم وتخدع .. رأيتها تغوص الي اعماق البحار السبع لتأتي بحورية ، وصعدت الشياطين الى القمر حيث سرقت وجهها ، ومن الليل البهيم اختطفت الشياطين شعرها ، ومن اعماق البحار والحياة كانت عيناها ، ومن الهواء السارى سحرت الشياطين خفتها ورقتها ، ومن اسنان الفيل وقلوب

النخيـل كان لون بشرتها ، سرقوا لخدها من التفاح لونه ، ومن الوردة القرمزية كانت شفتاها ، وأرادت الشياطين أن تصنع لها قلبا فرأيتها تندفع إلي باطن الأرض لتخرج بأصلد حجـر ومنه قـــدت قلبها . . .

وتذكرت أن فلاسفة اليونان قالوا بالعناصر الأربعة وقد رأيت الشياطـين تستخدم الهـواء التى منه كانت خفـة الجنية ورقتهـا ورأيت التراب أو الحجـر ومنه كان قلبها . . فتساءلت أين النار وأين الماء . . رن في الجو البعيد بعد الزمن العميق عمق البحار السبع . . من يقرب الجنية الساحرة يصاب بالنار في قلبـه والمـاء في عينـه !

ولما رأيت الجنية جن جنونى فقد رأيت ملاكا نشـأ فى نعيم جنان كنعان . . أهكذا تدخـل الشياطـين الجنة ؟ وتدخل لتسرق أجمـل زهرة فيها ؟ أجابت الشياطين . وفيم نطمع أن ندخل ان لم نطمع فى دخـول الجنة ؟ وماذا نقطف ان لم نقطف أجمـــل زهـرة فى الجنة ؟ . .

هل أنتم آلهة أيها الشياطين ؟

— انـا آلهة ولنا عباد عند جبل شاهق وجب عميق

جبل تعممه النار وجب عميق تسكنه الأشباح والثعابين .

أين الحقيقة ؟

وصحوت من نومي على صوت زوابع محملة بالرمال في الصحراء وفوق الأرض الذهبية المتشحة بالسواد دخلت إلي فمي حبات رمل . . ألجمته عن أن يتساءل عن الحقيقة . . . ولكني أتساءل لعلها من لدن الحقيقة تلك الحباب . . لعل ماآت التي أنا ذاهب إليها ترشدني) . (كانبه ملك شاعر هام بالحق وعرف أنه في (ماآت) وسيذهب اليه) وفكر الملك في أحلامه هو فرأي أن أحلام الشاعر المجهول تختلف فى تفاصيلها عن أحلامه أما المغزى فهو واحد على وجه التقريب . إن الروح التي أملت على كل منهما أحلامه هى روح البحث عن الحق والشك فيما هما عليه من شئون الحياة التى وصلا اليها . . . ولقد ذهب إلي (ماآت) ذلك الملك المجهول حيث حظى بالحق فيجب أن يلحقه ، ولكن لم لاتكون (ماآت) هذه فى نفسه أليس العقل والعدل والحقيقة فى نفسه ؟ كلا ليست جميعها فى نفسه وإلا فكيف يظل يبحث ويشك فيما بحث فيه ووصل اليه . وهنا تساءل من جديد وما الذى وصل

إليه ؟ . لقد هدم كل ماوصل اليه . لقد خابت أمانيه لأنها تحققت فلم تعد حتى خليقة بأن يذكرها . . وعلى كل فقد وصل إلي جانب كبير من العلم فقد حقق أمانيه العقلية وقتلها ولم يحظ بالحق ، وحقق فكرة الحب الصافي النقي وألهب شعوره وملأ فراغ قلبه وحقق أمانيه فقتلها ولم يحظ بالحق ، ثم أحب الجسد وهام به وحقق فيه أحلامه فقتلها ومع ذلك لم يحظ بالحق . . . أي أن كل أمانيه قد تحققت لتقتل وكأن كل قيمة لها كانت في الحرمان . فما هو الشيء الذى يمكن أن يعرف ويظل كما هو عظيما على كر الغداة ومر العشي . . خالدا على الزمان يتطاول على هام السنين ويجهز على الفناء بنصل حاد . .

هو الله الذى يجب أن يعرف . . نعم يجب البحث عنه ولكن ليس هناك دليل معقول على أن الله سيعثر عليه في مكان من الأمكنة . فلماذا لا يكون ماوصل إليه وماتحقق هو كل مافي الحياة من قيم وليس لغير ماوصل اليه وجود ؟ ولكنه يحيا فلا بد أن للحياة قيمة ولها سراً وهو ليس أمامه فيما وصل اليه سر من الأسرار فلا بد من البحث عن

هذا السر العميق ، ولكن لم لا يكون سر الحياة فى اللاحياة ، فى الموت فان الباحث عن سر الظلام يجده فى النور فالشيء يعرف بضده — وهنا قال للمعلم (ايا) أيها الرجل الساحر إنى أريد أن أذهب إلي الموت وأعود ، فأعطني دواء عليه التعاويذ السحرية ليحقق أملي .

وهنا ارتعد الرجل وقال — ما الذى حدث يامولاى ؟

— ان حياة الشك التى أحياها لاتطاق ولا بد أن أذهب لأرى فى أى مكان ذهب (كيريز اشبا) التائه على الأعراف . . . علىّ رسلك أيها الساحر . . السحر والطب صنوان فى بلادكم فيها . واستعن بعلمك وجهز لى الدواء

— عندى ضرب من شراب (السوما) ممـــزوج بأشربة صينية وفارسية وقد قرأت عليها تعاويذ كلدانية لعلك تصعد إلي (النيرفانا) وتعرف أسرار العقل البشري جميعا .

— ألا يدخلها عنصر يونانى ؟

— مولاي إن اليونان قلب الحياة النابض وما أبعدهم عن أن يتصوروا نعيماً غير الحياة . . ثم إنهم أصحاب العقل الذى يسيطر على الحياة ويرفض الأساطير . . اللهم إلا فى

قصص ومسرحيات لمجرد اللهو ولا متاع الخاطر وسرور النفس ، أما العقل فمنظم آلته المنطق

إذن فجهز الشراب ولاحظ أنه يجب أن أعود الى الحياة وإلا فالويل لك .

— سأفعل هذا على أنى سأسبر غور التاريخ لأعرف مكان (ما ت) على ظهر الأرض .



الجزء الثانى

مـــآت

فى عهـد ديانة (آمـون) كانت (مآت) روح العمل والحق والعدل . . . كانت روح التاسوع الالهى .

— ١ —

وذات مساء قاد (ايا) الأمـير الشاب الى حي السحرة والغجر ، وهو حي يموج حياة ويتلوى حـول الموسرين كما تتلوي الأفعي فى سلال التين . هنالك قامت الحياة فى بيوت أشـبه بالكهوف و كان المكان مزدحما بالمتفرجـــين على السحـر والساحـرين . . يغص برواد اللهو أو بمن أعوزتهم الآمال والرغبات على تحقيقها بالسحـر ، فتلك امرأة تريد زوجا ، وفتي يريد حبيبته فى ظلال الغاب بين همسات الشجر وفتاة شــــابة سقطت عليها أشعة الحب ذات مساء فأشعلت فى القلب ناراً جاءت تخمدها بيد الساحر ، ولقد كان المـــكان غاصا بالنساء فهن ربات السحر وإلهات

الأساطير .

. . كانا سائرين على الأقدام مختفيين وقد دفعهما إلى الولوج فى تلك الضجة أزمة بصدر الأمير قد ألمت فاستحكمت ، هذا وقد رأى — ايا — كعامل أساسى أن الأمير يجب أن يعتاد الجو السحري لكي يثق به ويؤمن بأفاعيله العجيبة ! . .

ولقد تلهى الأمير حقا ، فقد رأي الأعمال الغريبة التى يتحدث بها المشرق والمغرب ، واعجباً كيف ابتلع هذا الرجل الطويل النحيل حزمة أسلحة بأسرها ؟ وذلك الذي دخل النار وخرج فكانت على جسده برداً وسلاماً ! ولقد حاز إعجابه ذلك الذي التف بالأفعوان الهائل وأكل بضع ثعابين صغيرة ، وفغر الفم دهشة إزاء الذى قتل نفسا وأحياها . . . وأمسك البعض حجراً تغير إلي جميع الألوان ثم نبت من بين ذراته زهرات من اللوتس (والسيرش) .

ثم حل الوقت المخصص للتنبؤ بالمستقبل والرجم بالغيب ، هذا يقرأ فى وجه الليل المظلم آيات المستقبل من وراء النجوم وينظر إلى باطن الأرض ليحدث عن الماضى

كأنما الحياة أسرار تساقط من السماء إلى الأرض ، والأرض ذات سر قديم والأرض أم الماضى يكبر بين أحضانها المستقبل ليصير ماضيا ! وذاك الرجل العجيب المتمتم بالتعاويذ المغمض العينين يستطلع ويتنبأ وينير وهو فى ظلام وكأنما الحياة ربيبة المعميات والطلاسم لا يكشف سترها إلا السحرة !

كان القوم الذين يرغبون استطلاع المقبل من أيامهم يقدمون أجراً حسناً ، قطعة نحاسية أو عددا من البيض أو قطعة من صوف الابل . فألقي الأمير قطعة ذهبية إلى الساحر الذي فغر الفم دهشة واعترته موجة اعجاب أن يجد هذا السيد الموسر قد ولج باب فنه فعمل على أن يتوخي الحقيقة فيما يسرد ويقول . .

وتمتم ونظر من أعلى إلي أسفل في حركة عريضة ثم في اشارة بسيطة رفع نظره من الأرض نحو النجوم (إن الأيام تنحدر من عليين إلي بطن أمها الأرض ولكن طموحك يرد تراب الماضى المدفون أملا يصعد إلي ألمع النجوم . الحياة تنحدر الي أسفل ولكنك تحاول النهوض

فهل تستطيع مغالبة الحياة ؟ انك لا تعشق السهول والوهاد وانما غرامك بالثليج الصافى الذي يهيم بقمم الجبال فمن صعد الى الثليج قريبا من السماء ولم يتجمد دمه برودة أو يضل فى ثلاجات وشعاب الطريق . . أنك في قلب بركان يثور ويقذف بصاحبه الي أعلى مع الحديد . . أنك تبحث عن ضوء بعيد . نجم وسط الظلام فاعلم أنك الى النجم لا تصعد أبداً وانما تحقيق أملك على الأرض في كهوف جبال الأزهار والنار حيث تجد نجما فوق الجبل ينام علي قرص من الظلام ، تحته جمجمة وميزان ا فى كهوف جبال الأزهار والنار حيث تجد الزهر الجميل السام ، حيث تجد الببغاء الفصيح الذي لا يفقه شيئاً ، هناك حيث تكون الحياة موتا والموت حياة تجد الماس فى الحجر فاستخرجه ، افتح الحجر برفق يتدفق عليك البريق الذي يعمى عينيك الضاحكتين بالأمل)

وتمم الساحر وطويت الصحف وجفت الأقلام وكتب القدر في حياة البشر فلا راد لما كتب . لكن الأمير استهواه أن يعرف كهوف جبال الزهـــــر والنار وتذكر أحلامه فعرف أن الزهر والنار هما المادة التي يكتب منها اسم (مآت) .

وكم نعجب حينما نطق الساحر بما نطقت به (ما آت) في أحد أحلامه وبدا الأمر عجيباً ورأى أنه من الأعجب أن يضرب بهذه الأفكار الملتوية وهذه الأحلام الغامضة عرض الأفق أو أن يعتقد أن السحر نوع من الخرافة والخافة ففي السحر بعض الحقيقة لأن الحقيقة يراها أكثر من فرد وهو بعقله قد أدرك الوصف في الاحلام ذلك الوصف الذي عبر عنه الساحر حرفا بحرف فالساحر جال في وادي أحلامه ووادي أحلامه موجود في كتاب الغيب . فهم بأن ينادي الساحر لكن (ايا) منعه قائلا — أنك أغدقت عليه العطاء وقد بذل غاية جهده فلا يمكنه أن يقول أكثر مما قال وهو لا يعرف غير ماقال . كان لا بد أن يمر وقت طويل حتى يشرب الشراب المسحور أو خمر الحق كما سماها فيما بعد وحتى يستطيع أن يعرف أسرار جبل الأزهار والنار ، فبذل (ايا) جهده في أن يملأ وقت الأمير سمراً ولهواً ... قد نجحت الحيلة فاستعاض الأمير باللهو عن الحق ... ولعل الحق في اللهو أيضا ، ولا شك أن هذا الوقت الذي يلهو فيه يجد في نفسه سروراً والنفس ميزان الأشياء ففي اللهو بعض الحق !

وخرج الأمـــــير للصيد وقد سرت في الجـو نسائم الأصيل ، كأنها شفوف رفاف من أجنحة الملائكة . . ولمح الفتيات يملأن الأواني من النبع وكن يغنين لحنا ، ولمح العبيد حاملي محفات المترفات من نساء المدينة وقد غطين وجوههن ببراقع سبع ومع ذلك بان في عيونهن الذهب وقد موهت جفونهن أطياف ذهبية ينادين باللحظ الفتاك صرعى الأقواس الذهبية التي تقذفها أناسي صغيرة سكنت بين العقل والقلب . . بين الجبهة والصدر . وهبت النشوة مندلعة في صدر الأمير ، ورفرفت حول جواده الأحلام وهو يسير إلي الغاب المجهول . وعند مفترق طريقي الغابة والجبل . . ذهب إلى المكان الأعلى لأنه طموح ؟ وهناك بعيدا عن ضوضاء المدينة إلى جوار معبد خرب سمع أصواتا موسيقية ، موسيقي عجيبة ولحن عبقرى ، موسيقي حالمة كأنها رقص الملائكة في النعيم او ذكرى الله في قلوب المؤمنين ، موسيقي حزينة كأنها نهر من الدموع تغتسل فيه الآثمة ، وينفض فيه العبد غبار الاستعباد .

اقترب من مصدر الصوت فرأى زهرة جميلة ولكنها

سامة . والببغاء تصيح ولا تفقه شيئاً ، ألفي الزهرة نابتة من قبور الموتى . وهكذا صار الموت حياة ، ولكن الزهرة لا تحس ولا تتكلم إليه ، وهكذا صارت الحياة موتا ! هنا الحق ؟ ولكن الحق لم يتضح بعد . وأصبح أمام كهف قديم ، واللحن عجيب عبقري خافت حزين . . ألفي على قمة الجبل نجما غطاه قرص من السحاب . . ان النجم نور الحق ! وألفى على الأرض جمجمة . مكان العقل ! وإلي جوارها وجد ميزانا رمز العدل (ماآت) روح الحق والعقل والعدل .... وأمام الكهف سمع اللحن العجيب (لحن الحق) والثعابين الهائلة قد أتت من الجبل لتتراقص أمام اللحن العجيب . . . لقد زحفت من كل مكان . . . من المعبد ومن جب قديم تحت أطلال المعبد . من القبور ومن قلب الزهور . التفت الثعابين حول صوت الحق وتأمل الأمير النجوم كأنها ترتل أناشيد السماء على مزامير الخلود

. . . دخل الأمير الكهف . . . إلي الظلام فلم ير شيئاً لأنه كان في النور ! . لكن سرعان ما رأى خارج الكهف الأشباح . . رأى الدنيا القائمة فى الخارج كحلم مبهم غامض

ورأى في داخل الكهف ضوءاً باهراً أخاذاً يلمع كالبرق . .
لقد وجد الماس في الحجر ! . . صدقت نبوأة العراف . . .
ويجب أن يثق بكلامه على طول الخط . ورأى الأمير داخل
الكهف جنات وأعنابا ونخيلاً وحوراً وسندياناً بعضها كلون
الفضة وبعضها كلون الأبنوس ؛ وقد كسيت المماشي بالمرمر
الصقيل تفرت من الأرض العيون التي تغتسل فيها الآثمات
رأى هذا تحت ضوء النجوم ، لكن النجوم حينما لمحته سقطت
كما تسقط عن أغصانها ثمرات التين وبات في ظلام . وكتب
بأحرف من الأزهار والنار (مات) ونظر الكهف فوجد
فيه مخلوقا عجيباً كأنما مضى عليه في الكهف ملايين السنين ؟
حاول أن يكلمه فلم يعرف لأنه كان لا يعرف الكلام
البشري ! حاول أن يراه فوجده أعمي لم ير في حياته بشريا !
حاول أن يسمعه صوته فما استطاع لأنه لا يسمع ! ومع ذلك
فقد كتب في الكهف بالنار والأزهار (مات) . فاقتاده
الأمير إلي القصر . . . ليعلمه لغة البشر فيخبره أين الحق
وما هو ؟ ورغم ما اعتري الأمير من الفزع والعجب فانه
فرح لأنه كلل مجهوداته بأحسن اثمار . . . ها هو مخلوق

يمكنه أن يعلمه الكلام فيقول الحق المبين . . يالهذا المخلوق العجيب ! انه يعرف الحق ولكنه لا يستطيع أن يقول منه شيئاً . . . . الحق سر الوجود واللاوجود الكاشف عن كل شيء يمكن أن يعلم ولكن تعطله الألفاظ ! . . . الألفاظ الأصوات . . اللغة . . فهل اللغة جزء من الحق ؟ !

وغضب الأمير فى الطريق قائلا — أف لهذا الحق الذي تضيعه ألفاظ البشر ؟ أمن المعقول أن يعرف الحق فى حياة يكون للسان فيه القدح المعلي ؟ وعند ما فاجأ المعلم عما رأى سأله الامير هذا السؤال . . هل اللغة جزء من الحق ؟

وعند ما أفاق المعلم من ذهوله بعد ثلاثة أسابيع وكرر عليه الامير السؤال أجاب — يقينا أن اللغة جزء من الحق . السنا نبنى الجدل الطويل لمجرد الألفاظ ، السنا نبنى الحقيقة على الألفاظ ؟ فثار الأمير قائلا . . ياله من حق سخيف ، ولكن مالنا ولهذا يجب أن نعتنى بهذا المخلوق ونعلمه أى لغة لمكن أن تسهل عليه . . . . التعرف الحق لأن الحق لايعرف إلا بالألفاظ . وفكر الأمير فى شيء آخر . . هو أنه عرف مكان الحق مصادفة دون بحوث (ايا) فيما كتب

ذلك الشاعر المجهول .... أنه بحث عن الحق فى كل مكان ولكن الحق جاء مصادفة بلا منطق ولا تمهيد ... الا لتحيا المصادفات حيث لا منطق للحوادث ولا انسجام !.

— ٢ —

وشرب خمر الحق ، وراح ليحظي (بالنيرفانا) البشرية جميعا لا بتلك التي عند الهنود وحدهم ، ذلك لأن تعليم هذا المسيح العارف بالحق يحتاج إلى وقت طويل والأمير متلهف لمعرفة الحقيقة . رأى دنيا غريبة لا عهد له بها ولكنه شعر أنه ليس منها لأنه كان كالمتفرج فأولئك قوم بدوا بين آيات الفن الناطقة ، عرف أنهم اليونان ، لا بتلك المعاطف القصيرة التى كانوا يرتدونها وإنما لأن التماثيل كانت تنطق بجمال الحياة نفسها ، ذلك الفن الرائع المنسق الناجح لأنه فن الحياة الذي لاءم بين طبيعة الأشياء وبين طبيعة الناس فنجح وذاع .. تبين فيهم شيخاً مسناً قصير القامة أفطس الأنف يجوب الحمامات والميادين وسمعه يقول فى الجماهير — أنا أعرف شيئاً واحداً وهو أنى لا أعرف شيئاً ، فصفق تلاميذه وشغف به الناس ولكن

لما بدأ يستخدم طريقة (التوليد) فهم الناس أنه ليس جاهلا وإنما هو أكثر الرجال علما كما قالت الكاهنـــــة . . ولكن شيطانا تسرب وسط الجموع وقال — عالم يتجاهل أو جاهل يتعالم . ورؤيت الأكاديمية وقد جلس أفلاطون يتـأمل (المثـل) ويرسم فى الأرض أشـكالا هنـدسية ، وإذ ذاك مرت عربة يسوقها عجـوز محنك ويجرها جـوادان أحدهما رشيق سهل القيـاد ، وآخر أحمـق غليظ ولـكنه جـذاب ، ورؤي كهف فيه رجل مقيد ونظره داخـل المغارة التى على بابها النار وخارجها الـكائنات ، وتسرب الشيطان ومحا بعصاه السـحرية العربة والـكهف ! . . وفى جانب من الأكاديميـة رؤي شيـــــخ لديه ضروب متباينات من الحيوان والنبات ويتأمـــــل بين الحين والحين النجـوم والأفـــــلاك .

ورأى الرواقيـين يتحدثون فى القـدر النـافذ والذي يوجب الـكفاح والجد لا الخور والـكسل . .

وفى هذه الجموع رؤى رجل بمصباح يبحث هنا وهناك عن الحق ! . وابتعد قليلا ولم يشأ أن يأخذ دليلا يستعين به فى الحي اليونانى . ولـكنه وجد رجلا مضطجعا فى تراخ

يتسلى بأغانٍ لامعنى لها فسأله — بعد تحياتى يا أخي أرجو أن تخبرنى فى أى مكان أنا . .

فلم يجب وسأله مرة ثانية أما تجيب سؤالي ؟ فهل لك أن ترشدنى الطريق ؟ .

فلم يجب ، وقال — انك صامت والصمت حكمة فهل من الحكمة أن ترد أخاك الانسان خائباً .

وهنا تكلم الرجل فى بطء وسكون — لاتزعجنى يارجل

وهنا اغتاظ الأمير وسأله — إنى أرى هنا مكانا عجيباً يحوي قادة الفكر فهل لك أن تخبرنى من أي الفرق أنت ؟

— ماذا يهمنى إن كان المكان عجيباً أو غير عجيب ؟ وماذا يهمنى إن كان به قادة الفكر أو حثالة الدهماء ؟ بل ماذا يهمني أن أعرف من أنا ؟ أنا رجل — أو هكذا سميت — أصمت وأرى العالم وأعيش فيه ولايهمنى أحد ، ومايحلو لي أفعله حتي لو حلى لي أن أصحبك إلى حيث شئت لفعلت ولكن ذلك لايحلو لي لأن هؤلاء الذين تراهم حكماء لاأحبهم فأنا حكمتى ألا حكمة لى ! وأحيا غير متقيد بمذهب مجنون ، ولا بقانون من وضع رجل شاذ ، لماذا أعرف من

هم ؟ .. هل عرفت نفسي أنا ؟ .. إني سعيد بنفسي لأنها تأتي
كل يوم بجديد أتسلى وألهو به ، إن الحياة حرة فلماذا أتقيد
بشيء ؟ إني سعيد وإن لنفسي قيمة كبيرة لأنها لا تعرف
قيمة في الحيـــــاة ، قد كنت ملكا طموحا وقلبا يفيض
بالأحاسيس ، ونفسا قد طبعت بمثل أفلاطون وأشربت
بتصوف الهنود ، وقد انقلب طموحي كبرياء ، وأصبح إيماني
شكاً أمام عقلي الذي لم أحسن رياضته والذي اندلع ناراً
بذلك الساحر الذي يسمي شكا وذلك الجبل الذي يسمي
كبرياء ، لقد كنت أفتح البلاد وأحسب أن سعادتي في فتح
البلدان وغزو الملوك فبؤت بالخسران المبين وبدا لي مجد
الأرض كفقاعة من الصابون تتطاير أمام الساحر وأمام
الجبـــــل ولقد أحببت نسوة عدة وهبت الأولى كل مثلي
وإيماني وكانت تحبني فلم ترض إلا أن يدخل الحب الجسدي
في المثل والايمان ، وأحببت في الثانية جسما فلم تهبني نفسها
إلا بعد أن أحببتها بمثـــــلي وإيماني ، ورأيت في الثالثة
ما يكرهني فيها فاشتهيت ما أكره لأن كبريائي كانت تحتم
عليّ أن أطأ كل شيء بنعالي ... ولقد همت بالفلسفة التي

تري أصحابها هنا وهناك — فما خرجت إلا بفكرة واحدة هي : أن الفلسفة نظرات العقل للطبيعة كنظرات الشاعر لها وان امتازت الأولي بما يسمي المنطق فمنطق الثانية غير منظور ولا يعقل أن ليس لها منطق . . ان هذه الفلسفة هي أفكار وأحلام لعقول شاذة فهل أسلم نفسى لأصحاب الأحلام الشاذه ؟ ان الفلسفة ليست إلا وجهات نظر بعض الشواذ من الناس فلا تؤدى إلي الحق بحال من الأحوال . . لهذا لم أجدها محققة لطموحي وانما وجدتها هادمة له وازدادت شكوكي والتهبت نفسي بها ، وحاولت أن أعرف مالم يجب فبؤت بالخسران المبين وقمت أبحث عن الحق فى كل مكان واستمعت لخرافات البشر ، ولكنى فكرت أن كل ماوصلت إليه قد تهدم لأني شكاك فأى حقيقة سوف أصل إليها ولو كانت سر الوجود الذي لاسر بعده فان لهب شكى سوف تمتد إليها وقدم كبريائى سوف تطأها ولو عرفت أقدس الأشياء لما كانت تجد من شكى وغرورى غير ماتجد أقل الأشياء ، فعرفت أن الله عظيم مالم يعرف ولهذا لايجب أن يعرف . والايمان به وبوجوده خير من الهيام فيما

لم تخصص له حياة البشر . . .

افعل ماشئت ياسيد بحيث يكون ماتفعله بقدر طاقتك تري نفسك ناجحاً ، وفي حياة موفورة . ولا تسل هؤلاء الفلاسفة المناكيد عن الخير والشر فما هي إلا فكرة أدلي فيها كل بدلوه ولكن اسمع كلامى وافعل ماشئت بحيث يكون ماتفعله فى قدرتك تكن سعيدا . وأنا اليوم أفعل ما أشاء لاأحب أن أعرف شيئاً غير نفسي . ولا أقيم وزنا إلا لها وأؤمن بالله ولا أتعب نفسي فى محاولة البرهنة على وجوده . وقد سرني أن أحادثك هذا الوقت ومن الآن انا لا أستطيب الحديث معك لأني قد تعبت فابتعد عني .

وأفاق الأمير ليلح عليه في الكلام فما أجاب ، سأله عدة مرات ورجاه واستعطفه فلم يظفر بطائل وهنا قام الرجل قليلا من مرقده الأرضى وتكلم فى بطء وتؤده — يا أيها الفتى . ألم أقل إن الشيء الذي تعرفه تقتله . وأنت تريد ان تعرف كل شيء مني لتقتلنى فلا أصبح صاحب أى قدر امامك . . انى أريد ان أكون عظيما بأن أحتفظ ببعض أفكارى . ورقد على الأرض تحت الشجرة بعد ان مد يده

وأخذ ثمرة منها ووضع ساقا على ساق وقذف بالبذرة في وجه الأمير ! وكان الأمـــير غريبا فى المكان ولكنه لم يتعود الاهانة وهو الذي أمضى العمر فوق هامات الشعوب فجلس ليفكر في الانتقام . وصمت قليلا فحسب الرجل السكوت ضعفا فلم يرض لهذا المخلوق بالغضب فقال . هدىء حدة غضبك وسأعوضك عن سبابى بأن أعرفك أسرار المكان لعل فى نفس الانسان بعض الخير . . . فما كان يصدق ذلك الأمير حتي سأله في أي مكان نحن ؟

— هب أنى في الجحيم فانى أحس أنى لاغبار على وحسي هذا . هذه الأسئلة من آثار العقـــل الذى يريد ان يعرف كل شيء والذي سيظل فى محاولته مدي الحياة أى ان أحلام الشواذ سوف تسيطر على عدد كبير من الناس فيحسبون ان الحق في تلك الأحلام وكل يوم جديد يحمل إلي الفكر حلماً جديداً فهم لن يصلوا إلي حق مطلقا . لأن الوصول الى شيء كما أخبرتك هدم لهذا الشيء . فالفلسفة تعلم البحث وتبعث على الشك . وهى تهدم نفسها إذ يدفعنا شكها إلى البحث المستمر . أي أن الفلسفـــة تحاول في بحثها

ان تعرفنا قيمتها وهي في هذه المعرفة تهدم نفسها . ان طريق
الشك لهو طريق شائك ملتهب كله خطر ووعورة . وبعد
ما الذي أتي بك اليوم الي هنا ؟ أنت يامن قلت له من علمى
أكثر من الواجب فأزلت عن حجب الأسرار . وقيمة
كنت تقدرها أكثر مما تفعل الآن . لأن عظمة الشيء
تكون بمقدار مايكون عنا غامضاً كما أفهمتك — اذهب إلى
الحي الصيني تجد لاهوتسيه ينشر حكمه التي منها — ان
أسرار الدولة إذ تذاع على الناس تصبح الدولة كما لو كانت
سمكا خرج من الماء — فأسرار الدولة هي أسرار السكون
التي يجب ان تظل مصونة عن البشر والا فقد هدم النظام
فلا يجب البحث فيه لأن في الحياة مشاغل غير هذا البحث .
يا أخي ان الحياة بنت المادة وبنت الجسد فاملأ منها فراغك
وانتشي . واسمع بوذا الذي يشع من عينيه نور مجده يقول
انى أعلم طريق الخلاص فحسب أما الشؤون الأخري مثل
أبدية العالم فلا علم لي بها ولا أحب ان أجادل فيها .
واني لا أعرف غير هذه الحياة فأنا أحياها ولا أهتم بغيرها
ولا أفكر الا في نفسى وأومن بقوة تشرف على السكون

وأفعل ما أحب مادام ذلك في قدرتي . . . هذه قدرتي أيها الضال عن المكان ولو ذهبت معك إلى تلك الأحياء لما قلت لك أكثر مما قلت ، ولكني أرى ألا تذهب لأن الأحياء الشرقية فتانة الروح حالمة يستحسن أن يحلم بها المرء خير من ان يراها فان رؤيتها تضيع سحر أحلامها . . .

الوداع يا أخي اذهب واستمتع بحياتك ولا تهيم بغير أسباب الحياة التي أعدتها لك . . لا تحاول مخالفة الطبيعة لأنك ذرة في كون هائل . . لأنك أنت ذرة تسير برغبة الطبيعة . . ولكن أقف مالنا ولهذا أغرب عن وجهي وأحيا فقط ولا تحلم بغير ماتراه في الحياة

ونام الرجل هادئا بعد هذه المقاله الطويلة وقطف تمرتين ووضع ساقا على ساق وأكل التمرتين وكاد يقذف بهما الأمير لكن هذا قد فهم الحيلة وفر هارباً ضاحكاً .

وذهب إلي ركن بعيد ونام من عناء الرحيل على أن المكان كان غريبا شبيها بالمقابر فسمع صوتا يقول — ماهذا الدلال أيتها المرأة أعطيني قبلة لقد عشت بين أحضان الكتب محروما من لذة الحياة فهاتي قبلتي المشتهاه أيتها الغالية ، ولكني

مازلت ميتاً فيا أسفي ! وسمع صوتاً آخر — لقد أردت ان أعيش سعيداً في حياتي وكان ينقصني المال فهات المال أيها الغنى هاته لأستمتع به . ولكنني مازلت ميتا فيا أسفي !

وسمع صوتاً آخر — لقد عشت حياة الناس وأغدقت على الحياة مالا وزوجاً وكان ينقصني النســـل فتعالوا أيها الأطفال إلىّ لاستمتع بكم ولكني أحس الأغلال تمنعني أنني لازلت ميتاً . وهناك صوت رابع يقول أما انا فقد عشت سعيداً ووفقت بين قواي العقلية والعاطفية والجسمية فغذيت كلاً منها بما يليق به ، فدرست العلوم والفلسفات كرياضة عقلية فحسب وأحببت فتاة ولم أرتفع بهذا الحب عن الحياة فتزوجتها وكانت زوجي مثل كرمة في جوانب بيتي وأنجبت لى أطفالا كانوا مثل غرس الزيتون حول مائدتي وعشت سعيـــداً وعملت وآمنت بالقوة العظمى فنجحت لأن الايمان سر النجاح فأنا لا أريد اليوم شيئا ، اني عشت فسيان عندي أعيش ثانية أم أفنى لأني كنت سعيداً . . . فعند ماتعيشون أيها الاخوان افعلوا كما كنت افعل فليتني استزدت من هنائي .

وكان الأمير قد تعب وفهم أشياء كثيرة فقال لنفسه حقيقة الحياة تكون فى التوفيق بين القوي الحية من عقلية وعاطفية وجسمية ، ولا نحاول فى كبرياء ان نشك فى كل شيء لنهدم بهذا الشك أقدس القيم اللازمة للانسان وهي الايمان بالروح وبنور أقدس تفيض عنه كل روح ، اني أومن بالله ولذا فلن أبحث عن حقيقته ، سبحانه ، ولكن آه لو رجعت الي الحياة وكنت أكدح وأكسب وزوجتي فى بيتى مثل كرمة تكتنف جنباته بالظلال أفىء اليها ، وأولادى حولى كغرس الزيتون حول المائدة أمتع بهم ناظري ، طوبي لى لو رجعت ولكنى لاشك ميت مثل هؤلاء فياحسرتا على حياتي التى هدمها الشك وسيطرت عليها كبرياء العقل .

ليتنى لم أمت سريعا هكذا فتصبح حياتي تافهة لأني لا أريد أن أبحث عن الحق . . . ليتنى أستطيع أن أنصح البشر ذوى العقول المريضة المفكرة بهذه العقيدة الجديدة التي أراها . . . . لكني ميت فيا أسفى !

(٣)

عند ما صحا الأمـــــير وأفاق من فعل ذلك الشراب المسحور وجد المكان مظاما وإلى جواره المعلم (ايا) فسأله — أين أنا ؟ أما زلت ميتا ؟ أمت أنت الآخر يا أستاذ ؟

— كلا ياسيدي ولكنك شربت الشراب المسحور قبل أن تقوم بالعبادات وعلى ذلك فرؤياك غير صحيحة ، والمهم الآن أن أخبرك أن الملكة (أوشاس) استردت ملكها بمعاونة كبير قوادك الذي عشقها وتآمرا عليك وألقياك هنا ريثما تفيق فيتصرفان فى شأنك . .

— مهلا يا أستاذ أولا دعنى أطمئن إني مازلت حياً — يالفرحة إذن فأنا لم أمت ، بعد هذا تأكد أنه لاشيء يستحق منى الاهتمام ، يكفينى بعض الكتب الرياضة العقلية ويكفينى امرأة طيبة تنجب لى أطفالا ، وإني سأكد وأتعب لأني أحبهم وأومن بالله ولا أهيم بالبحث عنه لأن غاية ما أصل إليه هو من نتاج عقلى أنا وهو غير قدرة الله .

— لقد ضاع ملكك . . . وعشقت أسيرتك كبير

فؤادك . . . ويدبران مكيدة لإبعادك .

— وماذا تظن الناس يا أخي ؟ أليست لهذه الدولة أمور يجب أن تساس وأنا كنت مشغولا عنها بالبحث عما لا يجدي ، أليست لهذه المرأة (أوشاس) قلب وجسم تريد أن تبعث إليهما بالحياة فى ظل الرجـــل القوى بعد أن تركتها . هذه سنة الحياة فمن يزرع حبة الحنطه يجني حبات ومن لا يزرع يحرم كل شيء وشتان بين الأمرين .

* * * *

وإذ ذاك سمعا ضجة أتى بعدها السجان وفتح الباب وقيدهما بالأغلال وصعد بهما درجات بعضها فوق بعض فى أزقة مظلمة حتي شعر بعد قليل أنهما في القصر المنيف ، فى قاعة العرش جلست (أوشاس) على عرش الملك كما استولت على عروش القلوب وهنا تساءل عن مصير الدولة التى يحكمها الجمال ؟ كان أسيرها وكانت بعيدة عنه فأحس بالحرمان ، وكانت عظيمة الجمال رائعة أكثر من أى وقت مضى كتلك الأسرار التي كان يظنها الحق ، لقد باتت صنما يفيض من ألوهية الجمال ، وجلال الملك نوراً مقدساً ، وبدت فتانة ،

أول مابدا له قدماها في نعل حريري كأنهما طبقا فضة قد رصعا بحجرين كعيني امرأة ميتة ، وبدا ثوبها كثوب القمر يفيض بنفسجاً رصع بقطرات من طل السماء ، وكان ذراعاها عاريين كذراعي إلهة القمر ، كانا حيتين من معبودات المصريين وقد استحال لونهما في لون العاج ولكن فيهما سم قتال ، فويح لمن التفا حوله ! ولكن ما أشهاهما ! وقد كانت بيدها أسورة في لون النبيذ فيها زبرجدتان إحداهما كعين النمر وأخرى كعين اليمامة ! ووجهها تلوح فيه الألوهية والشيطانية ، وجه جنية إلهية ، فيه تلك العينان . . تلك المرآة العجيبة التي يرى فيها كل من اقترب منها نفسه ثم لا يلبث أن يرى غيره . . . مرآة بابلية ساحرة .

وبدأ حجر كبير من الماس يشرف على شعرها الماطر كما ينبطح البدر على صدر حدائق أفروديت إلهة الصبابة .

ياللمرأة ، كيف تغابى عنها ؟ إنها غدت بعيدة لأنها غدرت وهو أشد مايكون هياما بجمالها وأشد مايكون غيظا من سلوكها ، وفتح فمها ، كعقد من حبات رمان النعيم ، أو عود مرجان تلوح به إلهة لاترى ! وأعلنت أنه

متهم بالالحاد فقد جحد بآلهة البلاد . كما أنه متهم باهمال شئون حكم البلاد والتلهي عنها بالسحر والشعوذه ثم استخرطت في حديثها فقالت .

— ان هذا الحاكم لغريب ، فقد اراد البحث عن الحق والوصول إلى مكان الآلهة فسوّل له هذا الساحر الطبيب أنه فى مكان يدعى (ما آت) وهاما في كل واد من أودية الضلال التى لاتستحق من المرء غير السخرية والعبث . وأتيا إلى القصور الملكية برجل كأنه كتلة من العظم كسيت بشعر اغبر أشعث وأخذا يعاملانه اللغة . أنظروا أيها القواد والحكام إلي مافعل من قلدتموه السلطة . أنظروا تلك العظمة المثمرة التى ربما عثرا عليها في شعاب غاب الهنود عابدي الصمت والزهد . أنظروا واختبروا الأمر بعين الحكمة فان نطق هذا المخلوق حرفاً واحداً ليدلنا علي حكمة أو ليلقي علينا عظة أو أى كلام يعقل فلعل الأمير على صواب وإلا فهو مدين .

وهنا قطب الأمير حاجب وجهه وفكر أنه كشف عن كل شيء أراده فكان الشيء بعد أن عرف أقل منه قبل

أن يعرف . يجب أن يصان سر الحقيقة . إن أسرار دولة الله يجب ان تظل بعيدة عن البشر وإلا باتت الدولة كسمك خرج من الماء كما قال لاهوتسيه . وسادت لحظة صمت رهيبة قطعها الأمير بصياحه بعد أن خاف أن يعرف مالا يجب ، وأرد أن يعيش بالايمان لا بالمعرفة ، بالخوف لا بالشك ، بالحب لا بالكبرياء ، أراد أن يشعر فيما بقي له من العمر انه يمجد شيئاً ، ويقدس سراً ، يفزع له في الأوقات العصيبة والأزمات التي تلم ببني الانسان ، أراد أن يعبد شيئاً بعد أن أحس بضعفه وان معرفة العقل تستوجب الكبرياء والكبرياء يستوجب الشك ، والشك نار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله ، أو ساحر يسحر كل مايصل اليه حتي يعود فيسحر نفسه . ولا يبقي شيئاً علي حقيقته . وهنا تذكر ذلك الرجل الذي قابله في مدينة الفلاسفة وقوله ، إني هدمت كل شيء لأني عرفت كل شيء ، واليوم انى سعيد لأني أفعل ما أريد مادام فى استطاعتي أن أفعله ، اني لاأتدخل في شيء لا يعنيني . ماذا يعنيني ان كنت فى الجحيم مادمت أحس أنه لاغبار علي ؟ وهكذا أراد الأمير أن يبقي

على تلك الناحية المقدسة من الحياة فلا يحاول معرفتها مطلقا .
حاول أن يعيش في الحياة المتحركة . أن يحرك عقله ببعض
الآراء . وان يقدس شيئا فيملأه شعوراً . وان يتزوج وأن
ينسل وأن يعمل ليقوم بواجبات البدن . انه كان ميتا فحمد
الله على متعة الحياة مهما كان ثمنها . عزم أن يشتري من الحياة
هذا التوفيق المدهش بين قوى الانسان من عقل ، وشعور ،
وبدن بهذا التطرف في الغني والجاه والملك ، وأنكر أن
الذين يحيون متطرفين في أي ناحية من نواحي النشاط
الكامن في الانسان يضلون ولا يعرفون حقيقة الحياة ، كما
كان هو في بحثه عن الحق ، وتطرف في حبه المجد والغزو ،
وحبه المرأة والجمال ، أراد أن يعيش ليستمتع بالحياة الحقة
التى تجمع قوي الحياة للسمو بها . . تذكر كل هذا فصاح .
— أيتها الملكة — إني أتهم نفسي وأخضع لكل
عقاب . ولكني أستحلفك بالهتاك والحق المقدس ألا تدعى
هذا المخلوق يفوه بحرف واحد أنا كافر بالآلهة مقصر في
حقوق الدولة . ولكن لا تدعي هذا المخلوق يفوه بحرف
واحد !

فى المرأة شيطان عنيد يسيطر عليها عند ما تملك موقفاً تعذب فيه حبيباً بحبها غدر وبعشقها كفر ، فصاحت — ان الحاحك ورجاءك فى أن تسكته سوف لا يفيدان شيئاً بل أن لهما فى نفس مفعولا مضاداً ، انطقوا هذا الشيخ إن كان يعرف للكلام سبيلا اضربوه بالسياط ، سلطوا عليه آلات التعذيب حتى ينطق .

ذهل الأمير وكاد يفلت من أغلاله لانقاذ المخلوق الذي يعرف الحق ، ولكن الحراس الصناديد المساعير أوقفوه ساكناً لاحراك به ، وأراد أن يرفع يديه ليضع أصابعه في أذنيه حتى لايسمع الحق الذي طالما طمح عقله لمعرفته وطمحت اليه نفسه ، هذا الحق الذى من أجله كافح وناضل وتلقى فى صدره السهام ، وفي جبهته الطعان ، وفي بطنه السموم . هذا الحق الذي من أجله كفر وألحد لأنه لم يوقف عقله عند حد الفكر بل تعداه إلي الشك وإلي الكبرياء . هذا الحق الذى من أجلة آمن بالخرافات والسحر وخضع للشعوذه فاستحق من المرأة السخرية والهزؤ . هذا هو الحق ينادى بصوته فاسمع أسرار الكون التي تعمي

بصيرتك أيها الأمــــير لأنك فانٍ ولأنك ذرة في كون عظيم ، هــذا هو صوت الحق الذي ســوف يصيب سمعك بالصمم لأنك لم تخلـق لتسمع غــــير أصـوات النـاس والحيوانات ! واغرورقت عينـا الأمـير بالدموع ، هــذه النـكبة الفاجعة الذي لم يخلصه منها عرض من أعراض الحياة ومنها ملـكه، فملـكه في مثل دخان قد تبدد ، وإذ ذاك تذكر أن الله عظيم وأنه أكـبر من أن يعرف ، وأعظم من أن يحيط به عقل أبناء الفناء ، ولم يعد يسمع شيئاً ولا يرى في قاعة الملك وعرش الجمـال شيئاً ، وانما رأي نفسه وقـد كاد العطش أن يودي به ، وعلى بعـد منه رأي حورية هيفـاء تفر من ثديهـا زلال يثلج الصـدور وقد تساقط على أرض مرمرية في إيقاع راقص رتيب ، فنهل وارتوى ، وأحس بالجوع فرأي حوريات من اللبن يهرسـن الـكروم في أوان ذهبية ، ورأي شجرات التين يناديه ليقطف تيناً بـكراً ، وكلما قطف تينة نبت مــــكانها تينات يتألقن كالنجوم ، ورأي غرفا سداسية قد غطيت بحرير أصفر ، فيها ملائـكة باهرة أجنحتها من شفوف ذهبي قد رصعت بكريم الأحجار ،

وقدموا له عسلا شهياً ففهم أن هذه خلية نحل فى النعيم ، ودخل غرفة ثلاثية كلها أعمدة شاهقة متلاصقة لا تدع للنور سبيلا وراح يتعبد ويحمد الله في خشوع فألقي الأعمدة قديسين واقفين وقد أرسلت قلوبهم أشعة نورانية ، وهنا أراد أن يبكي فلم يستطع لأن صوت القلب وحده كان كافيا لأن يرتفع إلى رب الجنات ، هنا أحس بالأنوار تخفق ، وبكي القديسون فملأت دموعهم المكان فأضحي نهراً اغتسل فيه وتطهر وتوجته الانوار كالنجوم ، ولكنه مالبث أن رأى جسمه وقد ذاب في نهر الدموع وبقي قلبه ينبض وإذ ذاك هبط من السماء سنا يخلب الأبصار ، وجذبته أشعة السماء فارتفع قلبه إليها وكان كلما ارتفع صغر حجمه الجسمي المظلم حتي فني عند باب السماء ، ولكنه أحس بالأنوار التي لم يعد يعرف كيف يصفها ، ثم أحس أنه صار نجما يشرق بنور الحب ويفيض بلألاء الايمان) .

وأفاق ليجد إلي جواره المعلم (أيا) في مكان قصى فسأله — أين نحن ؟

— في مكان قصي وغداً نذهب إلي المنفى الذي

حكمت به علينا الملكة أوشاس .

— آه يا لعذاب الدنيا ولكن أين صاحب الحق ؟

— لقد عذبته أوشاس فلم ينطق بحرف فصلبته عند عند الكهف الذى فيه وجدته .

— هيا لنراه ...

— هيا فهو من هنا لقريب .

وذهبا ووجداه يقطر دماً ونفسه تفيض عذاباً ، وكانت الموسيقي الخفية تنشد لحنها الحزين ، والأفاعي ترقص رقصها ، وأفاض اللحن الأسي والشجون ، ما أظلم هذه الدنيا للحق ، ان صوت الحق لايطرب غير الأفاعى فى هذه الحياة ! وعندما أراد المصلوب أن ينطق كلمة اختفي واختفت الموسيقي ، ولم تختف الأفاعي ، وذهب الأمير إلى داخل الكهف حيث وجد صاحب الحق لأول مرة فوجد الأفاعي غضبا وكادت تلذعه لولا أن ولي الهرب إلي حيث لم يجد الحق ، أحس الأمير أن ملكه فى مثل الدخان قد تبدد ، وندم لضياع الملك والجمال فتذكر الجنات التي رآها فاحتلت الدموع عينيه ، ولما قص على المعلم قصته

ضحك قائلا — انها أضغاث أحـــلام ، انها من صنع مخيلتـك .

— أيها الشاك هب أنها كذلك فما أسعدنى أن أجد قوة ألجأ إليها إبان محني ، حقاً إن الحق فى القلب لأن الله الغفور الرحيم يسكن القلوب ، حقا ان الحكمة أسهل من أن يهيم فى سبيلها لأنها فى قلوبنا . وانا نستطيع أن نسعد ونشقي . لو أني أستطيع أن أقف على هامات وديان السنين لأعظ الناس بالحق حتي لا يضلوا ضلالى ويقعوا في المحظور . طوبي لمن ضل ورجع مستغفراً . وويل للمتكبر الشكاك .

* * * *

وفى الصباح تمم الأمير ركع وسجد وقد اغرورقت عيناه بالدموع فتعجب المعلم من أمره لأنه عرف أنه يبكى لهذا الايمان الجديد لا لأن اليوم يوم منفاه . ولكن تأثر بحالة الخشوع التى اعترته وتطلع إلى السماء وقال يجب أن أومن أيضا ، أن أخـــدع نفسي بأن هنالك قوة تغيث الملهوف وتبعث للضعيف الصحـــة والعافية ، قادرة على أن تمسك بيوت التنين وتقود النمور ... فان فى هذا الايمان

نهاية للشك والشقاء . إن الايمان يخلق الراحة ويدفع إلى الأحلام فنزداد به إيمانا ! وكان الموكب الملكي يمر إذ ذاك في رحلة الصيد فاختبأ وراء صخرة ، ورأيا الأميرة فتانة ، كجنية ، جميلة كملاك ، كان حسنها مستبداً آسراً فندم أن فرط في هذه الدنيا الناعمة وفي ملكه ، لكنه تذكر الجنات في السماء فتبددت حسراته كحدآت تتفرق ! بدت الأميرة فتانة تطبع رمال الصحراء على ظلها الطويل الناعم ألف قبلة ! وإلى جوارها سار قائده الخائن يستمتع بالحب والجمال ، وخلفها جياد الحرس والحاشية مطهمة وعربات تحمل بعض المتاع وتئن في سيرها ! وبدا الركب بعيداً في الأفق وخلفه سحابة من تراب الأرض كستار يسدل على هذا الجمال الحي الفتان ! واقتادهما الحراس إلي زورق صغير كان قد ربطه في الشاطيء الرملي وطبعت أقدام الأمير على الرمل قبلة وداع لحياة المجد والكبرياء ! ونزلا في الزورق المتمايل الحزين ، لكن الأمير تخيله أملا في ظلمات هذا البحر الخضم ، وسار الزورق تاركا وراءه موجات خافتة كأنها ماض هامس بما كان ! وبدت الدنيا في الماء تحت

أشعة الله كنهر من ذهب ، ورأى المليك سحابة أشبه ماتكون بين ماء في السماء وحولها أنوار الشمس كملائكة تناديه إلى الأمام . فسار بقلب خفاق بالأمل الواسع في السماء ، ولكن الأمير تذكر أن له طفلا لم يدر مصيره فبكى لأول مرة لأنه فقد شيئاً في الحياة جديراً بأن يبكى عليه . ولكنه تذكر السماء فلم يعد يبكى . وكأنما سمع في الأفق ألحان موسيقى السماء . وقابلته جزر الحوريات في أحضان اليم . وعاش . . .

(طوبى لكل من يتقي الرب ويسلك طرقه ، لأنك تأكل تعب يديك طوباك وخير لك ، امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك . بنوك مثل غرس الزيتون حول مائدتك . هكذا يبارك الرب الرجل المتقي)

---

(١) مزمور ١٢٨ لداود

سنشن الحائرة بين الأرض والسماء

سنشن يالها من امرأة جميلة الجسد والروح معاً جذبت إليها الأنظار وتلألأ نجمها في منف حتى بهر الناس فشكوا في إنسانيتها وراحوا ينسجون حولها من الخيال أساطير فتناولها زعمهم منذ كانت طفلة في ضمير الغيب . فقالوا ان الآلهة جميعاً قد تعاونوا في خلقها ونفث فيها كل منهم أجمل نفحاته . ففي وقت تأمل وصفاء أنزلتها السماء روحاً في قطرة ماء بحديقة كبير كهنة منف وكاتب الكتاب المقدس ، وأوصتها بها خيراً فاذا ماضمتها الأرض في حنان همست في أذن أوزوريس و (حابى) حتى أخرجاها من بطن الأرض زهرة تفتحت على أشعة رب الضياء رع وقبلات إله الهواء (شو) ذى الشفتين المرتعشين . وأبى (تفنوت) الا أن يتوجها بقطرات متلألئة من نداه . أنبتت (سنشن) إلى جوار مستنقع هادىء الصدر صافى الماء في حديقة الكاهن الى جوار معبد بتاح العظيم . . كانت زهرات اللوتس تطل

ضاحكة كل صباح فتبدو بيضاء أو متأملة حالمة فتبدو ذات
لون بنفسجي هادىء .. كأنها تقول لبيار كنى بتاح العظيم
لا لجمالي ولكن لطهارتي ونقائي ... وأشجار الزيتون
ترحب بالزهرة الجديدة قائلة : — هذه أرض بتاح الذي
يرسل أشعته الي قلوب الفنانين كما ترسل الشمس أشعتها
النقية إلى قلبك ... حافظي على طهارتك دائماً هذه وصية
الآلهة لسكان حدائقها ، أما أشجار الكرم فمتكئة على
عصيها كأنها حيزبون أقعدها العمر ووهبها (سيشات)
بعض حكمته وترحب بالضيفة قائلة إحذري غضب الآلهة
فان بطشها لهائل بمن جحد حقها ... الحدائق مكان العبادة
فاذا لوثتنا الأوحال لم نعد قادرين على العيش فى وادي الآلهة
السعيد ، وتهب عاصفة خفيفة تقتلع بعض الزهور وتضطرب
التماسيح في المنقع وتدب الحيوانات المفترسة والطيور
الجارحة والحشرات الفاتكة . ان سكمت تلقى عليهم درساً .
وتسمع الزهرة الجديدة النباتات والدنيا ساجدة جميعا تقول
مخاطبة الآلهة . بحقك وجلالك ياسكمت الجبارة ليس فينا
ملوث واحد غير نقي ، وان وجد اليوم أو غداً سوف

نعذبه ومن حدائق الآلهة نطرده ...

هكذا ثبت سنشن فى قلب زهرة طيبة الأريج عبق شذاها العجيب فسكن أحشاء المرأة وصلب الرجل ، وولدت على صورة فتاة لم تلعب في خلقها غير يد (بتاح) القديرة ، ولقد أسبغت عليها الآلهة كل جمال وذوق فكأنها الخيال تجسد وباتت آية الآيات ، وربما خلقتها الآلهة على هذه الحالة لتكون ثوابا حسنا لأبيها الذي خدم الآلهة زمنا طويلا ، ورأي الكاهن أن يربيها لكيما تصير كاهنة تخدم الأرباب فتقضى العمر تتعبد وتسترفد البركات وتكفر عن خطايا البشر ... فعلمها الآداب ولقنها التعاليم وأفهمها قيمة الشرف فى الحياة الدنيا لاسيما أنها كاهنة الخالقين .

أشرق — فى منف — سناها حينما كانت فى المعبد سواء كانت كاتبة أو قارئة في أوراق البردي ، أو منشدة تراتيل إشعال النار فى المباخر أو تراتيل القداسة أمام باب قدس الاقداس ، انها فتاة صالحة تخدم الآلهة مؤمنة متفانية فى إيمانها ، تأتي كل يوم من بيتها محمولة على هودج فوق أكتاف العبيد وتظل تتأمل جدران المعبد الخارجية فاذا

ما استقبلها المدخل بواجهته المائلة الجدران تعلوها الأعلام المرفرفة كأنها قلوب تخفق إيمانا وخوفاً من الآلهـة ، وقد اعتادت أن تضرب في مناهج المعبد على قدميها وتدخل البهو المسقوف المعد للأشراف ولكن اهتمامها كان بباب قدس الأقداس الذي بداخـــله مقاليد الحياة ، إن المكان لمظلم ولكنه مضيء كأجمل ما يكون الضياء . انه جماد لا حياة فيه ولكن هنا معتمد رجاء من يحيون ويحسون .

قال الناس : — أعن أرومة آلهـة انحدرت ؟ ماهـذا الطهر وذاك الايمان بل ماهذا الجمال الذى كساه الايمان من برد الأرباب نوراً فغدا جـديراً بالعبادة وقمينا بالتقديس ، فيالها من امرأة جميـــلة الجسد والروح معاً جذبت إليها الأنظار وتلألأ نجمها في منف حتي بهر الناس فشكوا في إنسانيتها وراحوا ينسجون حولها الخيـال ، وتناولها زعمهم منذ كانت طفلة في ضمير الغيب .

فاض النيل إحدى عشرة مرة منذ اكتملت عين منف برؤياها وبدأ جمالها شعـــلة لا تستطيع الأفئدة إلا أن تكتوى بنارها ، أهدية إلي الدنيا من ربات السحر ؟

أم حبة من عقـــد آلهة انفرطت ونزلت إلى الأرض ؟ أمعجزة أرادت بها الأرباب أن تعرف قدرتها على الخلق وبعث الحياة ؟ هي أبعد ما تكون عن سواد النوبة وسمرة مصر وبياض سوريا ، إن الناس لا يعرفون سر جمالها الساحر ولهذا قدروها تقديراً عمق إلي حد التقديس ، وخطبها أحد الأمراء وأعدت العدة لأن تزف إليه .

جد الناس فى إقامة الزينة على بيوتهم وأخفوا من نوافذهم شرائح السمك التى اعتادوا وضعها ، وجد الجنود فى إقامة الأعلام والرايات علي بوابات المدينة وتنظيم جموعهم التى ستشترك فى الزفاف فأخذوا يجلون الرماح والتروس وجد الناس يغزلن الكتان والصوف لصنع ملابس يظهرن بها فى قران ابنة السماء ، وأقام الناس ســوقاً يبتاعون فيها حوائجهم ويتبادلون بضائعهم لينال كل حاجته من المأكل والملبس والنبيذ والجعة والقرابين التي سوف يقدمونها قرباناً للآلهة التى أنجبت سشن حبيبة الجميع ، قديسة الشرف والطهر ، وفى يوم كالحلم زفت ابنة السماء . . وزينوها ولكن الكحل خجل لأن عينيها جمعتا سواد الليالي جميعا وبياض

الأيام جميعا وعندما انتظمت في عقد النساء خجلن من ثيابهن الضيقة التي كن بها من قبل نخورات مزهوات وخجلن من الأصباغ والحناء المذاعة في وجوههن هامسة منادية الرجال أما الراقصات الرشيقات اللاعبات بالألباب فقد انسحبن وبكين فما من رجل التفت إليهن بينما لم يرتفع طرف عن ابنة السماء . . انهن يحقدن عليها ولكن صه . انها ابنة السماء وهن بنات الأرض فهل يردن البروز عليها ؟

وارتفع النيل مرة جديدة وباتت تدعو الاله (تاأوريس) لأنها كانت حبلي . . وعن ابنة السماء انحدرت طفلة تعاونت الآلهة في خلقها فنفث فيها كل أجمل نفحاته ، ثم كانت الطامة الكبري حين طلقها زوجها الأمير ، وكان أبوها قد مات فهل تشقي ابنة السماء ؟ انها من السماء لكنها على الأرض !

وتمزت عن مصائب الأرض بهبة السماء إلي ابنة السماء بالطفلة . ان الآلهة عرفت كيف تثيبها بأن تبعث لها هذه الهدية . . هذه الطفلة . وعاشت ابنة السماء لتزيدها الأيام جمالا كلما رأت ابنتها . كأنها زهرة تتفتح علي أشعة رع ،

عقدت النية على أن تربي ابنتها نفس التربية التي لقنها إياها أبوها الكاهن الكبير لتحظى بالبركات ، انها تحبها أكثر من المال ومن الجمـــال أكثر من كل شيء فرغم أن الفتاة صغيرة لا تملأ العين قد ملأت الفؤاد ، انها ترى بها عالماً في الحياة هامسة خافتة ولكنها مليئة بالألوان والألحان ، كلما ضمتها إليها خشت عليها حتى لم تعد تفارقها إلا لماما . ان الأمل الذي يتسلل إلى قلبها عن طريق الفتاة لا يعد أثراً من كل شيء في الحياة . انها هدية الآلهة .

وما كادت الطفلة تشب نحو الحياة كما تتفتح زهرة اللوتس فوق الماء على شعاع الشمس ، ما كادت تعي وتنقه حتى غضبت الآلهة فأرسلت شيطان المرض يريها بآلام جسام ، ولم يجدي علاج الطبيب ولا تعاويذ الساحر ، انها خادمتك أيتها الالهة جميعا فلم يلتهب جسدها حرارة كأنها حرارة رع ؟ لم يتفكك جسدها وتنحل قواها تفكك الهواء الساري وانحلاله ؟ الرحمة ياشو رب الهواء . هاهي تصلى . الرحمة يا إله الندي . لم ترسل قطراتك المتلألئة من عيني الطفلة ؟ أخيفي المرض (ياسخمت) برأسك الوحشية حتى

يتركها ، يترك خادمتــــك ابنة خادمتك التي قضت العمر القصير في محرابك كموجة تتلاشى على شاطيء صخري خالد ، وصلت ليلها ونهارها ولـكن المرض الذي أنهك قواها وهد كيانها كان أصم لايستمع نداء الآلهـة . . . ماذا ؟ أيهوى نجم الأمل أيها الساحر ؟ لن يهوى اذا بذلت أثمن شيء . . ان أثمن ماتملكين هو طلبة الآلهة . ولم يشف الطفلة تقديم القرابين ، لماذا يسوء مصير الفتاه أيها العراف ؟ قال العراف ان الآلهة تطلب أثمن ماتملكين .

لقـد بذلت المال في القرابين والمال جمال الدنيا ، وهي تملك الايمان والايمان جمال الآخرة ، ورن كل شيء (أثمن ماتملـكين) في النوم واليقظة ، في المنزل أو في المعبد .. أثمن مالها هو الايمان . لـكن الايمان ملك للآلهة في قلبك . أثمن ماتملكين أنت ، هي تملك شيئين قلباً . للآلهة وللطفلة ! وجسدا ! أثمن ماتملـكين ، كلا ! إن الالهة لاتطلب من البدن متعة ، وتفاقم المرض وقالت الفتاه — أماه أهـكذا أمـوت . أما من دواء ؟ الألم في الجسد جميعـه . أمي . أما من دواء ؟ رن صوت هامس أثمن ماتملكين . . . لقـد قال أبوك ان الشرف

هو أثمن ما تملكين أفلا تذكرين ؟ يا ابنة السماء ، أملك السماء تطلب التضحية بأثمن ما تملكين ... ورأت الطفلة تموت فهمت تستعد لتقضي ليلة بين أحضان الآلهة ، وتطهرت بالنطرون وعطر بونت حتي تكون جديرة بأحضان الالهة وزينت صدرها بالحلى ويديها بالحناء وعينيها بالكحل ثم لبست ثياباً ضيقة تفصح عن جمال هبط من السماء وجسد اشتهته السماء !

وترددت في الذهاب إلى المعبد ولكن شيئاً صاح أثمن ما تملكين . أثمن ما تملكين . هذه فرصتك الأخيرة ، وأمام الالهة في ظلام الحجرة ونور الأزل ترددت في ان تحسر القناع عن صدرها ولكن شيئاً همس أثمن ما تملكين . . وكلما ترددت صاح أثمن ما تملكين الفرصة الأخيرة ، لم يرتفع بصرها على الاله ولم تره . كانت تنتظر أن يقول كفي ولكنه لم يقل بل صمت وأغرى . انه يطلب أثمن ما تملكين . . ووقفت عارية أمام الالهة . صمت ذلك الشيطان الهامس أثمن ماتملكين . لماذا ؟ أليس أثمن ما تملك قد قدمته للآلهة ؟ ولكن الصوت الشيطاني الهامس من

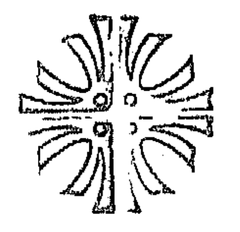
قبل (أثمن ماتملكين) صاح — لقد كشفت عن أثمن ماتملكين فلم يعد شيئاً ! صمتت ووقف قلبها فرقا ورعبا وماتت ابنة السماء حائرة لأن شياطين الأرض تصيد بنات السماء ! !

* * * *

وتنفس الصبح فى حديقة الكاهن . أطلت زهرة اللوتس من المنقع وكانت بيضاء كالابتسامة ، وأطلت أختها وكانت بنفسجية كالحلم كأنها تقول فليبار كني بتاح لطهارتى لاجمالي . ان الطهارة عظيمة لأنها الجمال والجمال عظيم مادام سراً مستوراً ، وصمتت شجرة الزيتون ولم تنطق الكرمة تلك العجوز الحيزبون التى وهبها سيدثات بعض حكمته ، وإذ ذاك تهب عاصفة خفيفة تقتلع بعض الزهر وتضطرب التماسيح فى الماء وتدب الحيوانات المفترسة والطيور الجارحة والحشرات الفتاكة . ان سكمت تلقي عليهم درسا .

وتسمع الزهرة المخلوقات تقول وهى ساجدة : بحقك وجلالك وروعك ياسخمت العظيمة فينا نجسة واحدة

سنقتلها جميعا . . وإذ ذاك تسقط زهرة سشن على الأرض فلا تقبلها الأرض فتطير إلى السماء ولكنها ظلت طريدة الأرض التى هبطت اليها والسماء التى انحدرت عنها !



وراء الدخان

وقفت بزورقها إلى جوار إحـــدى الصخور الناتئة كحورية من حوريات بحر الجنوب ، فارعة العود يسدل خلفها شعر كأبنوس الغاب ، عيناها من عيون النور تفيضان بالحب والحرية والذكاء ، هى صديقة هاتيك الصخور تحن إليها وتدعوها بأسماء الأشخاص ، تحن الى الماء المتدفق نحو الشمال حاملا الحياة لأهـل الوادى . وتلك الأعشاب البرية التي تكسو الصخور خضرة أخاذة ، كل شيء جميـل ، الماء يعكس صورة الشمس حين يبدو العالم للعيان ، وفيه تسبح النجوم حين يتخفى الليل برداء الحب المجهـول ، ويعوم فيه القمر فيفضح أسرار الأمواه والصخور ، ويطل على المكان معبدك يا إزيس يامن من دمعك جرى ماء النيل ، فظللت تبكين بعلك الخيّر المقتول حتى عاد اليك ، أيها المعبـد انك أنشودة يتغنى النيل بها ممجداً آلهته العظيمة ، ان لهـذا المعبد لذكرى للنساء وللرجال على كر الغـداة ومر العشى ،

غنت بصوت حنون صافٍ كسماء النيل في يوم صيفي ، صوت ينساب في بطن الوادي كأنما هو نغمات آلة تعزف عليها حوريات كليوباترا الملكة الغارقة في نشوة الحب ومجد الحياة ، يالصوت الفتاة من صوت ويالقلبها من قلب ، قلب يعكس صورة الأمواه المائجة في يوم الزوابع والأعاصير ، ان خفقات ذلك القلب لتختفي في صخب الجماعة ومشيئة الأقدار كما تنتهي الموجات متفانية متهالكة إلى شاطىء قلبه من حجر ، انها تبكي فلماذا تبكي في الشروق وقت البدء وقت الحياة والحب والأمل ؟ انه ذلك الفتى الأسمر السمهري المفتول العضل اللامع الجلد تحت الشمس وقد بدت ذراعاه في قوة بناة الهرم ، انه علة القلب وأمل الحياة كم رسمت له في خيالها الصور ، كم غنت وسط الصخور وفوق عشبها الوحشي وعلى قمة التلال في غروب النهر في حزن لهذا الحب الذي جعل من قلبها مبخرة تحرق فيها البخور للآلهة ، ياله من فتى ، انه الأمل واليأس ! كانت وحيدة فهي في حاجة الى شريك ، وكانت ضعيفة فهي في حاجة الى قوي وكانت شاعرة مرهفة الاحساس واسعة

الأمل فهي فى حاجة إلى من يحقق أحلامها الكبيرة التى بنتها فوق الصخر ، إنها أرادت أن تبني بيتاً فوق صخور النهر يجاور معبد إزيس ولكن رب الدار جعل أساس البيت فوق الأمواه ، أقبل الفتى المغرور بشبابه الذي يرغب الحركة والحياة ، يرغب الحب والمغامرة والثروة ، يرغب السائحات المعجبات به اللواتى يغدقن عليه آيات النعمة والرخاء مما يشعل نفسه شهوة فى الحب والمغامرة والثروة ، أقبل وبيده لفافة تبغ ضخمة وضعها في فمه وفي إعجاب أخذ ينفث دخانها المعطر المنعش ، كثيراً ماحاول الهرب من لقائها وطالما سخر من أغانيها ومن صوتها ومن حبها ! انه ليعرف حبها ! ولكنه يمعن فى الدلال والتيه ، انه يتعامى متخذاً من دخان اللفافة ستاراً .

قالت له ، ياصاحبي إن أحد السائحين قد عرض على الذهاب معه حيث أشتهر بصوتى الذى أعجب به فماذا ترى ؟

فأجابها بكل برود — خير لك أن تذهبي .

ولكنها لم تذهب وانتظرت عاماً آخر احترقت فيه شمعة صبابتها واهتزت زهـــرة جمالها اهتزازاً عنيفاً كادت

أعاصير الحب القاسي أن تذهب به ، مرت بازيس وأزوريس وحوريس ، أسماء جزرها الناتئة وسط النهر وهتفت لها أنشودة :—

إزيس ، بنلوب ، يا إلهات الاخلاص ، لقد عصفت بجمالكما عواصف الزمان فبقيتما أكثر صفاءاً ونقاءاً .

آه ياصديقتي ! ماأوفى المرأة ! وما أقسي الرجل المغرور بشبابه وصبابته ، ما أقساه على النساء اللواتى يجرين وراءه خاضعات ظانات أنهن يحققن بذلك قصور المستقبل على الصخور فيأتى الغرور ليبنيها فوق المياه ! إنهن ينشدن عشاً هانئا هادئا وبنين وبنات وهو يتطلع إلي الأفق البعيد متوثباً على فرصة حظه ومغامرات شبابه ، مايكاد يشرق في الأفق شعاع حتي يسرع السير فى الطريق باحثاً عن آماله مغامراً بشبابه غير مفكر فى العاقبة التى يظل بعدها صريعاً إلي جوار أشلاء قصوره المحطمة ! ماذا أنت فاعل بقلبي ، أنت يامن احتواك القلب كما تحتوي الصخرة على الماس ، بل أنت يامن اختلطت بقلبي كما يختلط المطر بالماء ، انك تهملني وأنت شمس حياتي فيالظلمة أيامى !

لأنك كمية من التراب فهل ينقص من قدر الشمس أن تشرق فوق التراب ؟ أينقص قدر الشمس أن تبعث الحياة إلى كل الكائنات ، كلا ان الشمس للجميع وأنا أريدك لي وحدي ، أنت روحي فكيف أعيش بدون روحي ، وإن أردت أن أموت فكيف أموت بدون روحي ؟

تركتني ياحبيبي حليفة الشقاء حتى بروضتي المعبودة قد حلت خبائث الشياطين فألهبتها حباً مجنوناً تزيده حرارة الشمس ناراً ، بالشعور قد نظرت الحياة ، والشعور حزين ، وسحب الشتاء المظلمات على روحي جاثمة والعمر ربيع والدنيا صيف ذهبي) .

قابلته بعد ذلك فقال إن الحياة هناك مشبعة بالذهب يتلألأ على أرض القصور المرمرية ، اللهو الجميل والليالي الساهرة والغانيات اللواتي شبهن بالجن في السحر واللعب بالقلوب ، هناك الليالي الحمراء يحمل فيها الليل كؤوس الراح الى المرحين من أبناء المدن فيبدد من همهم ، ويدعهم الي الصباح فى نشوة الأحلام ، إذهبي ولعلي بك لاحق ؛ إذهبي

يا ابنة الجزر ، وعاشقة النجوم وعابدة الشمس ! لكنه كان حالما ، هي تريد الهدوء والزواج وسط الجو الذي ألفته وهو مغامر راغب عنها راغب في المغامرة ، ينتظر السانحة المترفة المعطاء التي تحقق أحلامه في الحب فيقضي الليالي يدفء إلى ظلها الخفيف ويهديء حرارة شبابه الثائر ، ينهل من رضاب كمثري الشمال وتفاح أمريكا المعبود يتألق في الصدور ، تفدق عليه المال بلا حساب فيضحي ثريًا محسودًا ، المغامرة هم الشباب الطموح ، المغامرة بعا في العلياء ، الصعود نحو المجهول .

تركت ابنة الجزر في كل جزيرة أغنية حفظتها الصخور ورددت صداها الآفاق وتناجي الوادي الواسع بترانيم ابنة الجزر وأضفي صوتها على المعبد جوًا من السحر ، وردد كل شيء أناتها الشاكية وإلى آذان الله ارتفع صوتها ، ثمة آية تركتها ابنة الجزر في كل جزيرة ، عاشت تلك الديار برهة من الدهر في حلم من أحلام الحب المعذب وانتشرت فوقها سحابة خيال حتى راحت تنشد للقمر أنشودة غرام في خفاء الظلام ، وانسابت الأمواه قريبا من

الشلال حالمة مؤملة دون أن تعـــلم أنها ستهوى إلى وادي سحيق! يا لابنة الجزر المجزر من متعة وانفسها من شقوه.

وجاء الشتاء، موعد السائح، وحان للحلم أن ينقضى، وتوارى الفتى الأسمر السمهري القوي متعامياً وراء دخان لفافة التبـــغ، بكت مع الفجر وجففت حراره الشمس دموع الأرض ولم تجفف حـــراره القلب دموع العين، الوداع أيتها الطبيعة الرائعة، الوداع يا أمى الطبيعة، الوداع أيها المعبد يارمز الوفاء، الوداع أيتها الجـزر الناتئة وسط الأمواه، إن قلبك الصخري ليسمح للماء بالمرور، إنه خير من قلب الانسان، إنك أيتها الجـزر إيزيس، أزوريس، حوريس، بنلوب لأحن عليها من ذلك الفتى المغامر بشبابه المزهو بقوته، تهادت بزورقهـــا الضعيف المتهالك فوق الأمواه كحلم حـزين، ورن لحن الوداع في بطن الوادي فكأنما بأشباح الغرب تهب حسره وأسفاً وكأنما بكاهنات المعبد خرجت تشارك ابنة الجزر حـزنها، وكأنما بعرائس النيـل وحوريات النهر جـئن باكيات فنزدن ماء النهـر، وكأنما مرده النيل الجنوبي تنفث النار غيظاً لفراق من كانت

تهدىء بصوتها العاطفي شعلة نارها ... وكان شتاءاً ومع ذلك ازداد ماء النيل فكيف زادت والصيف لم يأت بالفيض أتبكي إزيس مرة أخري فتزيد النهر في غير موعد ؟

لقد عاشت بأحلامها فهل تحب غير أشباح احلام الحب المتداعي ، هنالك ، الذكريات ، أيتها الكائنات انها تبيت الليلة الأخيرة بواديكم الوحشي ، وعلم الفتي الأسمر السمهري فحن لها وناداته الكائنات الحزينة ليرجع الي ابنة الجزر حيث الدعة والاستقرار ، وراحت تبني في خياله قصور الآمال ولكن سائحة امريكية أشعلت في قلبه رغبة المغامرة فحرق القلب قصور الآمال وبقي القلب ينبض ولم يحترق ! نامت ابنة الجزر ليلتها الى جوار القصور المحترقه حتى الفجر فأطفأ النار الهزيلة الباقية بالدموع ... وعلت الوادى السحب فبدا كئيباً رهيبا وظلت دموع الفجر فوق المعبد والصخور ، وتركت الفتي بلا دمع وتركت الصخور بدموع . رحلت فوهبتها الآلهة الثراء من صوتها الحنون الهامس بلحن من السماء ، لأنه صوت أرادته الطبيعة ان يكون معبراً عن مفاتن ومحاسن آياتها ، ولقد كانت فتاة

شاعرة بالفطرة ، والشاعر بالفطرة يحب حباً عنيفاً في بدء
حياته وهو وان تخيل حياته رهينة بذلك الحب فالطير أبن
القلب يبحث عن مثله العاليه ، فسرعان ماينسى ؛ وهكذا
نست فتاها المغرور وشغلتها مغريات المدينة وأحبت شابا
وسيما تمناها وشغلتها شئون الثروة والمال ، وبصوتها الرائع
قد سمع الناس فتهافتوا عند الأقدام ووهبوها الذهب فذهب
بعقلها في أول الأمر ولكنها بدأت تختار وتتمنع لأنها
شبعت ، حتى إذا اثقلها حمل الذهب اقتصرت على فتى واحد
اللهم الا بعض ذوى الحول والبطش ، أو ذوي الشباب النادر
في بعض صفات تحسن او تسيء اختيارها ربات الخدور ،
وربما سمحت لها الآلهة بهذا السقوط لأنها كانت الهة
عاشقة ! وهكذا أذاع الناس عنها الأقاصيص وسمع بها
فتاها القديم فاختلطت تلك الاشاعات بالنار في نفسه ، اتقد
اشتعلت نفسه اذ وجدها من تحقق الأماني في المغامرة
والثروة والحب ولكن هل ممكن ان تعود ؟ ان عادت فهي
لا تصبح محققة لمغامراته وان لم تعد فهي عظيمة بها يحيط
الخيال والأحلام ولكنها تشعل نفسه شوقا ورغبة جارفة فما

العمل ؟ ليرحل الي بلاد النور عله يصيب شعاعاً ينير حياته
من ذلك النجم المتألق ، وترك الطبيعة الوحشية إلي المدينة
الرقيقة الانيقة ، بعد أن جمع ماالديه من مال ومتاع فابتاع
قاربا ينقل هواة الطبيعة فيسير بهم نحو أحلام مجهولة قريبا
من المنازل المائيه التى تحاول بأنوارها تبديد أحلام الليل

وذات مساء سمع صوتها — وقد أسكر النيل (عيناك
عين ماء فى الحب إن لونهما مزيج من لون النيل والذهب ،
ماذا فى عينيك من سحر ؟ وهل هما مستقلتان عن بقيه
الجسم ، إن الشمس تشرق بنورها ولكن احداً لا يعرف
ما هى على وجه التحقيق فمن صعد الى الشمس ؟ من ؟ ومن
عرف سر عينيك ؟ من ؟

لكنك بشر والمعاشرة تكشف أسرار البشر ، اذذاك
تعرف الحقيقة و هي ألا سر على الاطلاق فترجع باكيا
بدموع غزار وتقول عيناى عين ماء في الحب ،خذ الحذر
ولا تحب ، دع الناس تحب الشمس وان أحبت الشمس بشرا
لم تعد شمسا . ولكنى بشر ذو قلب والحب فى القلب
والدمع فى العين ، حقاً ان عينيك عين ماء فى الحب وحتي

الشمس الشمس تحـــب والا فلم تستتر حـزينة فى بعض الأحيان وتترك الغمام يرسل الدموع الغزار عيناك عين مناء فى الحب ، هذا هو سر عينيك فلا يبهرك سر عينين جميلتين فانك لست أعظم من الشمس التي تبكى احيانا من الحب)

رن الصوت خافتا كحلم مقـــدس ، وانتهي تاركا السكون فى نشوة وأطبقت الأمواه أجفانها فباتت كمن يغفو إغفاءة ساحرة . . .

وفتانا يحترق لوعة ، أشعل لفافة من التبغ وأخفي وراء دخانها دمعاته ، لأن دموع الرجال عزيزة فهم يخفون بكاءهم دلالة كبرياء الرجوله

وذات مساء . . . لمحها من زورقه وكانت تحي حفلا في أحد المنازل العائمة وبان فى عينيها السحر وتناثرت حولها الرغبات كالهة العشق ، فهم ليقابلها ورفع مجذافيه وسار قليلا والتفت ثانية فاذا بجوارها رجل أنيق كأنما يناجيها مناجاة العاشق الولهان . . . وفجـأة ترك المجذافين يهويان على صدر الماء في عنف وثورة ، وأحس الرجل شيئا ثقيلا يطأ كبرياءه كأنما ذلك كان حـذاء الزمان يطـأ قلبه فى احتقار عظيم .

ورجع الي الجزر الحالمة فاستقبلته بابتسامة ساحرة ولأول مره ذاق طعم الحرمان فصادق الجزر وأطلق عليها أسماء الأشخاص ، انها الوحيدة التي لا تأبي صداقة اللاجئين ، وكأنما برز له أحد هذه الصخور هامسا فى أذنه أيها الرجل القوي ، إن فتوتك جعلتك تطلب أكثر مما فى يدك

بكى واشعل لفافة يستر وراءها الدموع ولكن الرياح اطفأت الثقاب فباتت دموعه ولم يسترها الدخان .

لقد بكى فقد عرف ماوراء الدخان !



الفداء

منذ البدء سرت روح فى واد كساه الليل غموضا ، كانت الطبيعة حـــزينة فى مسوحها السود ، وتحت أشعة ضئيلة تنبعث من النجوم التائهة في الضباب ، جلست غادة مفتان وقد انضم ثوبها الى اجزاء جسمها ، كانت المـــرأة حـزينة هى الأخري ، وكان ثوبها الضيق الاسود الحـزين يزيدها جمالا ، كانت فى المعبد ايضا تدعو الى الغي والفتون

وعرفت الروح علة الحزن . فالطبيعة حـــزينة لأن الأنسان لم يفهمها فهما فنيا فما استوعب آياتها ولم يرتبط بها ارتباطا روحيا خالصا ، وكذلك كانت المرأة فعلة الحزن هى أن الرجال لم يروا فيها غير أنثي دون أن يعرفوا أن قلبها مصباح يضيء لهم جنان الجمال وشراع يسرون به علي أمواج بحر الحب ، ليرسو عند قصر الفن .

وهمس صوت فى الوادى المعلق يخاطب تلك الروح — ان الحياة فى حاجة الى قلب كبير يرقق شعورها ويقربها من المثل الأعلي ويحقق الجمال والحب والايمان ، الحياة فى حاجة

الي روح تضحي وتكون للبشرية فداءاً فمن يسمع صوت الرب ؟ اذهبي ايتها الروح إلى الأرض لتكوني النار المقدسة التي تحرق الشرور فتنتشر فوق الأرض نسائم الرحمة وأزهار الحب ومعابد الايمان .. ، اذهبي واهبطى من محلك الأرفع ايتها الروح الشاعرة الفنانة . .

هبطت الى الارض تلك الروح الشاعرة الفنانة وارتدت ثوباً من طين . هبطت منذ البدء من بين النجوم اللوامع

وفى احضان غابة لفاء اكتنفتها الاحلام ونامت عند أقدامها بحيرة لامعة العين براقة الأمل أقام ذلك الشاعر الفنان معبداً للطبيعة وأراد بعد ذلك أن يقيم فى صدر المعبد صنما للمرأة ليعرف الناس أنها روح في جسد لاجسد بلا روح ، وكان عليه أن يتخذ من بنات الارض وحياً لصنمه المعبود ...

سار فى الحياة متأملا السماء وأراد ان يرسم بخيوط الشمس الملتهبة رسمه المنشود ولكن الشمس سرعان ماغابت كان يرى في السماء ألوانا رائعة مزج فيها الدم بالذهب

باللازورد . مزج فيها غبش الفجر بأطياف السحر . لقد كان ذلك اللون الرائع هو الستار الرقيق المسدل على وجه السماء تنفذ منه الى اذنها الأدعية والصلوات ، عنـــده تتضاءل اصوات الارض فتستحيل الصلوات بخورا شفافا ، عنـــد ذلك الستار يتمثل أعز وأرفع ما يمكن أن تتخيله الارض في حين أن ذلك الستار غلالة سحرية هبطت من تحت أقدام الرب لتكون على هامة الارض تاجا رفيعا ، لم يكن يحسب الشاعر ان المجسد قيودا وانه يتعب سريعا ويبلى سريعا ، لقد تعب من السير فرأي أن يستريح ورأى قرية تقوم علي الجبل وارفة الظلال دانية القطوف ، ينـــادى التفاح والورد للقبل وتطل الكروم على الارض فى سكون الشيخوخة الحكيمة ، هناك أراد أن يستريح لكن سمع انفجار البركان ، أسفاه أن الارض الخصبة تكون كثيرا حول البراكين ! وجد في طريقه وردة لم تتفتح فظن أن سر جمالها فى قلبها ففتحها فلم يجد بها سراً ، جمالها في ان تري أبعضه ومن أراد أن يرى الجمال كله لم ير شيئا ! لقد تناثرت تحت أقدام الريح اوراق الوردة البكر كآمال الموتي

يعصف بها الزمان .

وعند ماسـار في طريق الحياة والناس رأي خارج المدينة لصوصاً يفتحون مقبرة ميت لأنهم علموا أنه ابتلع قطعة ذهبية في جوفه ، ورأى شحاذاً وهب للفقراء ماله فاغتنوا وأصبح هو شحاذاً ، ورأى امرأة تزنى ليكون أجرها ثمناً لدواء ابنها المريض ، وأخري تفعل ذلك لتعيش فاذا أصبح الصباح احتقرهن الرجال الذين كانوا بين أحضانهن ليلا ، ورأي الشاعر رجـلا يسرق ليكون المسروق أجر علاج أمه ، فاذا أصبح الصباح أتهمه الطبيب العظيم الشأن بالسرقة بعد أن استخف بالأجر ولم يعالج المريضة ، لقد رأي دنيا عجيبة يتطرف فيها الخير فيصبح شرا ويتطرف فيها الشر لـكنه لايصبح خيراً .

رأي الشباب يتبرم بالحياة ورأي شيخاً تحت شجرة مثمرة يقول — أيتها الشجرات ، في كل ربيع تزهـرن فتكون الزهرات عصارة أحلامكن وقبل شبابكن يهبها حباً وهياماً بالهواء والأضواء ، ألا ما أشقي الانسان يزرع الشجرات يتجدد مع الربيع شبابها ويموت هو في أجمل

ساعات الربيع وقد تأبى الشجرات أن تظلل قبره المهجور .

أدمت عين الشاعر السوداء على هذه الحال ، عينه وحدها وهى أشد سواداً من جلد الشيطان هى التي تعبر عما أحسه نحو هذا الكون . ورأى الناس فى ظلام فهم في حاجة إلي النور ليروا وإلي النار ليتطهروا ، فاعتزم أن يقدم النار المقدسة لتحرق الشرور ويكون منها النور ، هنالك قريباً من المعبد اقتلعت روحه جسمه كأنه حذاء قديم ومن شعلتها المقدسة أشعلته ، وعلى ضوئها رأى الناس المعبد . هام الروح فى الأرض يبحث عن غادة تكون للصنم وحياً ووجدها على شاطيء البحيرة تبني على أمواهها قصور الحب الحالمة الهائمة مع الموج والنسيم وقد دفعها النسيم فتدافعت فى نشوة وهمست النسائم فى صدر العذراء فبان عاريا كحلم خبيث مر بمخيلة ناسك ، وتعجب الروح لأن هذا الصدر مهد الرضيع الذي يفيض قداسة وطهارة وهو الذى اشتهاه الرضيع لما اكتمل وجدانه ونضج فكره !

كانت هى الوحي ، لكن الروح أحب المرأة فقال لها — لاتخافي يابنت حواء ، أنا روح الشاعر الفنان همت

شريداً في الأرض تحت أضواء السماء من أجل السعادة الحقة للبشر حرقت جسدي فوق الجبل المقدس فكان للناس نوراً وللشر ناراً ، لقد كان ذلك هو النور الذي يرشد إلي طريق معبد الحب والفن والايمان في الغابة اللفاء التي تحت أقدامها بحيرة لامعة العين براقة الأمل ، حيث كان يصيح البيغاء فيحسبه الناس أكثرهم فصاحة وبياناً ، لقد أحببتك يابنت حواء فمن شيطان الهوى صونى جسما عشقته من السماء روح .

تأملت الروح أطياف السماء ذلك الستار الرائع المسدل على وجهها تنفذ منه إلي أذنها الأدعية والصلوات ، وأقامت الروح حولها دنيا عامرة بالحب والفن تنتهى وتتوج بالايمان ، وهبت نسمة حارة على جبين المرأة . . كانت قبلة الروح على جبين الجمال ، وراحت الروح ترسم المثال المعبود بألوان الأطياف السماوية . .

تأملت المرأة تلك الاطياف بعد رحيل الروح ثم تأملت الطبيعة بطيورها وأزهارها فكان فيها الحياة والحركة لأن فيها الحب وكان فيها الحب لأن فيها جنسين الذكر

والأنـــثى !

ومن أقصى الغابة أتي فتى ريان الشباب فارع العود يتغنى بالحب ويتفتح قلبه للهوى كما تتفتح بعض الأزهار على أشعة القمر ، انجبت نحوه كما تتجه الزهرة عابدة الشمس نحو الشمس ، فلما رأت أطياف السماء تذكرت الروح ولكن الجسد أخرجها من أبراج الروح .

ورأت الروح ما كان فقال — إنى الشاعر الحزين الشريد الطريد ، إنى أمثل الناحية الحزينة من هذا العالم لأني أحسها ، إني أنا نجم هوى أو طير جرح ، أو مريض عذب أو حبيب حرم ، أو ورد ذبل ، أو مصباح أطفىء ، إني مقبر فى الحياة ، إنى القصيدة الحزينة التي ينشدها القدر كلما طاب له أن يتسلى بالأشعار ، ويحى إني لن أرضى بالهزيمة ، إني صاحب كبرياء عنيفة ، يجب أن أنتقم من المرأة التى هبطت لكيما تسمو قيمتها ، سوف أذهب إلي القبور وأتخذ لي منها جسداً بالياً لأن المرأة ســـوف تحبنى إذ ذاك ، فاذا فعلت تمردت عليها ، وفعلا نفذ ما أراد وعاش بين الحب والتمرد لكن شيئاً واحداً هو الذي آلم الروح ذلك هو

علمه أن أطياف السماء التى رآها لم تكن إلا ظاهرة طبيعية تكون هذه الألوان حول ذرات التراب في طبقات الجو !

وحل فى الغابة اللفاء الحزن والأسى فبدت أشباحها تحت الأضواء الشاحبة كأنها أكف شياطين تعبث بمعابد الحب والفن والايمان ، وبدت سعفات النخيل تهتز فى تراخ كأنها مجاديف سفينة تسيرها الشياطين في منقع الحياة لترسو بها عند تيه الموت ومقابر الفناء ، وانطفأ البريق من عين البحيرة وكم أنفاسها ضباب مسمم ودعت الكائنات الله أن يجزى المرأة على جنايتها فاستجاب الله فوهبها قلباً يشتعل هوي ليحرقها ، وجسما ضعيفاً لا يحتمل اللهب ، وعقلا يحرق صاحبه بلا لهب .

أما تمثال المرأة الذي أقامه الروح فى المعبد فقد هزته العواصف فهوى وتحطم وبقيت الرأس وفي كل فجر يتساقط الندى عليها وينحدر على وجنتيها كأنه قطرات الدموع !

الجمال الآثم

إن الشيطان طموح يقطف أجمل الأزهار ،
فانظروا الجمال ثمــــرة أسرع الى التلوث
بجرائـــيم العطب

حدائق فرعون نائمة علي ذراع النيل ، ودرجات المعبد الرخامى تتهادي الى مرسي الشراع والزوارق ، ما أجمل الدنيا : سرت النشوة الى القلب كما تنسكب أشعة الشمس فى كؤس الزهر ، وتمايلت الراقصات مع النغم تمايل الأزهار بين أحضان النسائم .

بدت احراج البردى فى الوادى متعانقة ، كانت قبلاً مظلمة . وبدت زهرات الجزيرة صفراء كالذهب ، لكنها كانت فى لون الغيرة والبغض ! تلاهف الموج الى قبل الدرج الرخامي ، لكنها فنيت قبل الوصول ! وبدت الشمس تقبل سطح البحر بشفاه ذهبية ، كانت الشمس تحترق والبحر كان مظلم القلب ! كانت الدنيا جميلة فى أعين الناس لكن

الكائنات غير الناس .

الأمـــــيرة ! كالهة .

توجها النسر الذهبي وقد اسدل تحته شعر ركز فيه سواد ألف عبد نوبى ! كانت هى الحلم السعيد المرفرف علي شفة النيل ، كانت هي المرآة التى تتركز فيها أحلام الشباب والحب ، كانت أجمل زهرة في أتلام حقل الآلهة حين أرادت أن تفلح أرض النيل ، ولكن الأميرة كانت غضبي ، رأى الناس العالم جميلاً لكنهم لم يروا الحق فى ذاته . . .

كانت الدنيا جميلة ، كانت الدنيا الفرعونية التى تعبد الجسد وما يجـــره من حب الظهور ، كانت الدنيا حائرة غامضة ، نامت تماثيل ابي الهول علي جناب الدرج الرخامي في ابتسامة غامضة ، وبدا القصر الملكى رائعاً لكن تحته قباب تحبس الحرية ويعيش فيها العبيد ، والقلعة شيدت للأحياء زينة ، شيدت لتسلبهم الحياة ، آه لهذه الدنيا التى تعبد البدن .

كان علي الأميرة ان تختار أحد اخوتها زوجا لها ، كان كلهم يقتتل ليحظي بها ، كانت هي الجزيرة الالهية التي

تحيط بها بحار الدماء ، كانت منحة الدنيا لأن الدنيا كانت تعبد الجسد اذ ذاك ، احبوها لجمالها الذى كان يقطر عسلا ولبنا أمام جياع الحياة أحبوها كأساً على مائدة الحياة شهية ، أحبوها حبهم للحياة ، أحبوها لأنهم يحبون أنفسهم ، تهافتو عند أقدامها راكعين ، لقد عبدوا الشهوة ، وكان الأميرات يحسدنها على سعادتها ، نعم لقد كانت أسعد أمرأة .

لكنها لم تختر أحداً لأن الظلام قد حل وهي لا ترى الا في النور ، حل المساء علي وادي الجسد الخالد فبدا النيل أسود من الابنوس ، والتحفت بعض الكواكب بالضباب ونامت غافلة عن الوادى ، ولاحت بعض الكواكب بين الأشجار مثل السمك فى الشباك ! ولما بات الزهر النضير فى غرفة الأميرة راح ينفث السموم .

ويح الذين يعبدون الجمال وحده ، دون أن يعرفوا الألم الذي يسببه ، لقد برز من صدر الاميرة ثمرتان ناضجتان دفنتا أشواكهما فى القلب وبدتا بلا شوك وهي وحدها تحس الأشواك لأنها فى داخل نفسها والناس يرون الثمار

وحدها ويشترونها بلا شوك ، يالشقاء قلب يكسوه جسم جميل فى معابد الجسد . آه للنور الالهى حين تحبسه أعمدة ضخمة في معابد الحجر ، ايتها الحياه عابده الحجر متمثلة فيه نفسك ، ايتها الكائنات عابده الجسد كماترى المرآه المظهر ولا ترى سواه ، أكل ما لم يظهر فى المرآه المعدنية لا وجود له ؟ اليس وجود المظاهر علي سطح المرآه ولا وجود لها فى قلبها ؟ اليست القلوب خافية لا تظهر فى المرآه ؟

نامت الطيور حالمة بغدها وعاد الثعبان الى جحره ، وسهر الجسد علي لذاته ولكى يشيع الجسد سلطانه أخذ يقص أحاديث الهوى وكيف فرقت المرأه بين الشقيقين ، وكيف باع احد عباد اللذة ماله واولاده فى سبيل متعة بدنه لحظة عابره ، لقد عاقبوا على الفسق لكن الحياه تقوم علي الجسد !

كانت الأميره الجميلة غريبة عن العالم لأنها لاتجد دنياها فى دنيا الجسد مع ما لجسدها من عباد ، في سوق الحياه لم تبع أجمل زهرة فى الحياه . لما غلا ثمنها عدمت المشترى ومن الذي يقدم قلباً في دنيا تقوم علي الجسد ؟ لقد كانت حزينة

ومع ذلك قال النساء أنها أسعد امرأة لأنها أجمل امرأة .
ويحكم يانساء ان الجمال متعة لغير صاحبه وليس متعة لنفسه لأنه لا يري نفسه !

فهل كانت الأميرة عميقة الشعور بحيث استغرق حياتها وحده ولها جسد يغذي آلاف الأحياء ؟ أم أنها كانت حائرة فى اختيار الزوج ؟ أممكن أن تكون المائدة حافلة بآكال البدن ولا يعنيها أمرها ؟ إنها تفكر فى حسنها بل وتستكثره على فرد واحد ، لماذا لاتحب اخوتها جميعاً وتشتهي الشباب جميعاً ، من العدل أن يشرق النور علي الناس جميعا لا على فرد واحد ، تلك سنة الجمال الالهى ، ولكنه شرير فكيف هو الهي ؟ إن إله الخير أخ لا له الشر ، الخير والشر أصلهما واحد فلا يتميز النور إلا بالظلام فللظلام الفضل في معرفة النور .

قالت الأميرات — إن اختنا عظيمة نبيلة تعيش بالروح ، الحق ان أختنا نبيلة طاهرة !

استمتع بها الأخوة ، فقال لها الأول — عندما أموت لاأريد جوارى من متاع الدنيا سوى عينيك .

وقال الثاني — أنت واحدة ولكنك متعة دنيا بأسرها

وقال الثالث — جسمي مستغرق فيك فكيف أصفك ؟

وقال الرابع — لقد كنت الرجل وكنت أنت المرأة ومع ذلك فأنت الفتى .

وقال الخامس — لم أر كأسا تشرب حتي الثمالة وتبقي كما هي إلا أنت .

وقال السادس — كيف تبقي الآلهة على جسد يسلبها كل سلطان ؟

وقال السابع — لقد أذنبت ولكن عندما يحاكمني أزوريس في الآخرة سوف أغريه بك .

وقال الثامن — أنت التى تخلقين الروح حين تهبين الجسد .

ورأي كل من الاخوة صورته فى المرآة الساحرة والمرآة الساحرة لم تحتفظ بأى صورة الا حين تكون أمامها وعاشت بلا قلب ! ومع ذلك هى حائرة تفكر فى جمالها تعبده وحده فلم تعرف الروح ولهذا كانت عظيمة الخطر لأن غايات الجسد لا تجد روحا تخفف منها وترقق حواشيها

أحبت الجميع لأنها لم تحب أحداً أحبت الشباب لأنها لم تحب شاباً ، أحبت جسدها لأنها لم تعرف روحاً ، لو لم تعرف انها جميلة لهان الأمر ولكنها تعرف ذلك وتعتز به بل وتعبده ويح الرجال لقد عرفوها ذلك فقتلهم بدلك وقتلت نفسها بذلك ! هي تافهة التفكير لأن جمالها يستغرق كل تفكيرها عاشت تافهة لأن الجسد كان محور تفكيرها ، وعاشت في كل رذيلة واحتقرت معنى الانسانية في ذاتها لأن تفكيرها كان حيوانياً ومع ذلك كان جمالها الهيا باهراً ! وماتت صغيرة بين الحيرة والغرور ، فويح لشيطان الجسد حين يستولى على أجمل الزهور ! لقد رأى الناس الجمال جميلاً لكن الجمال لم ير نفسه ولم يستمتع بذاته ، انا لا نرى الحق في ذاته وانما نراه بمنظارنا !

وقعت بعض أخطاء يسهل الاهتداء اليها سببتها ظروف قاهره فنرجوا المعذره